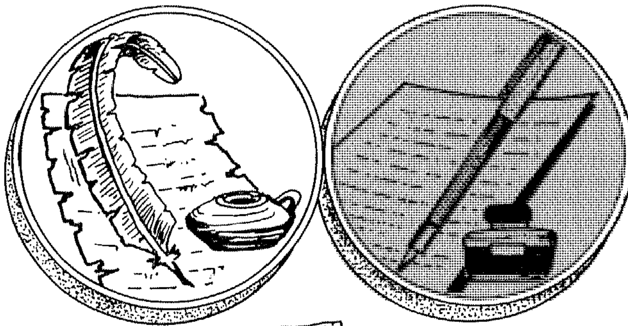
القسم التاريخي

(١)

الموسوعة الميسرة للتراث العماني

الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين

تقديم علمي معاصر لخلاصة كتب التراث العماني





تأليف العلامة

حميد بن محمد بن رزيق العبيداني النخلي

الجزء الأول

الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين

تأليف العلامة

حميد بن محمد بن رزيق العبيداني النخلي

عرض ودراسة

الدكتور عبد الله محمد جمال الدين

كلمة صاحب السمو

السيد

فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد

وزير التراث القومي والثقافة

باسم الله وعلى بركته، تشرف وزارة التراث القومي والثقافة برعاية المرحلة الثانية من مراحل المشروع الحضاري الكبير الذي يهدف إلى إحياء التراث العماني. لقد بدأت المرحلة الأولى مع فجر عصر النهضة المباركة التي أطلت على عمان منذ ربع قرن، ومن خلال هذه المرحلة خرجت مئات المؤلفات في علوم الفقه والتفسير والحديث والتاريخ والأدب، والطب والفلك وعلوم البحار وغيرها من فروع المعرفة الإنسانية، خرجت من صناديق المخطوطات العامة أو الخاصة، إلى أيدي القراء جميعاً، واحتفل بها العلماء في أرجاء العالم العربي والإسلامي وأفادوا منها في بحوثهم واستفادوا.

واليوم ومع هذه المرحلة الثانية، نطمح إلى أن تمتد الفائدة والاستيعاب إلى مستوى القارئ العام غير المتخصص، من خلال هذا العرض العلمي الذي قام به نخبة من العلماء المتخصصين، فأعادوا صياغة الأفكار التي احتوتها هذه المؤلفات بلغة عصرية مبسطة تحافظ على الجوهر وتجتاز بالقارئ المعاصر بعض عقبات التطور اللغوي وتخفف عنه بعض التفصيلات التي يهتم بها القارئ المتخصص ونحن إذ نتقدم بالشكر للعلماء الأجلاء الذين أسهموا في هذا العمل الجليل، نأمل أن تكون هذه المرحلة بداية لتفاعل القارئ العربي مع تراثه، حتى لا يكون التراث مجرد ذكرى نعتز بها، وإنما يتحول إلى ضوء كاشف يتفاعل مع حاضرنا ويساعد على تنوير مستقبلنا.

والله من وراء القصد

فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد

وزير التراث القومي والثقافة

الهيئة العلمية للموسوعة

الإشراف والتنسيق

الدكتور أحمد درويش

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

تحرير المادة العلمية

١ ـ د. محمد بلتاجي حسن : عميد كلية دار العلوم ، رئيس المركز الإسلامي لجامعة القاهرة.

٢ ـ د. حامد طاهر : وكيل كلية دار العلوم ، ورئيس قسم الفلسفة الاسلامية بالكلية.

٣ ـ د. حسن الشافعي : عضو مجمع اللغة العربية ، ونائب رئيس الجامعة الإسلامية بباكستان سابقا.

٤ ـ د. محمد سراج : رئيس قسم الشريعة بكلية الحقوق ـ جامعة الاسكندرية

٥ ـ د. علي عشري زايد : رئيس قسم البلاغة والنقد الأدبي بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة.

٦ ـ د. زين العابدين متولي : رئيس قسم الفلك ، بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة.

٧ ـ د. نبيل غنايم : رئيس قسم العلوم الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة.

٨ ـ د. منصـور محمد منصـور : رئيس قسم الشريعـة بكلية الحقـوق ـ جـامعة الزقازيق.

٩ ـ د. محمد الشهاوي : أستاذ الأرصاد الجوية بكلية العلوم ـ جامعة القاهرة.

١٠ ـ د. عبد الـرحيم حجازي : أستاذ جراحـة المسالك البوليـة بكلية الطب ـ جامعة القاهرة.

١١ ـ د. عبدالله جمال الديم : أستاذ التاريخ الـوسيط بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة.

١٢ ـ د. اسماعيل سالم : أستاذ العلوم الاسلامية بجامعة القاهرة.

١٣ ـ د. صلاح رزق : أستاذ تاريخ الأدب المساعد بجامعة القاهرة.

١٤ ـ د. عبد الحميد منصور : أستاذ الفقه الاسلامي المساعد بجامعة الزقازيق.

١٥ ـ د. عبد الرحمن سالم : أستاذ التاريخ المساعد بجامعة القاهرة.

١٦ ـ د. عبد الحميد الرفاعي : مدرس التاريخ بجامعة القاهرة.

١٧ ـ د. محمد المنسي : مدرس الفقه الاسلامي بكلية دار العلوم.

تمت مراجعة الكتاب من قبل لجنة مراجعة المخطوطات

برئاسة سماحة الشيخ احمد بن حمد الخليلي

المفتي العام للسلطنة

الفتح المبين
فى سيرة
السادة البوسعيديين

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤلف والكتاب :

ألف هذا الكتاب المؤرخ العماني حميد بن محمد بن رزيق الذي ولد في أواخر القرن الثاني عشر الهجرى ومات سنه ١٢٩١هـ. وكان مولده في بيت علم وفضل، فقد كان جده ثم أبوه ثم حميد نفسه من بعدهما، على صلة وثيقة بالسادة البوسعيديين، وقد عملوا جميعا بقلم الحساب في الفرضة، وكان للمؤلف منزلة خاصة في البلاط البوسعيدي توارثها عن الآباء والأجداد.

وقد تتلمذ ابن رزيق على الشيخ العالم الفقية حبيب بن سالم واستفاد من مكتبته الغنية في «نزوى» وكان أحد القراء السبعة الذين لازموه وقرأوا عليه، وتكونت عنده اللبنة الأولى لما عرف به مؤلفنا من علم وأدب وشعر وفقه فيما بعد.

وتتسم كتابات ابن رزيق بأسلوبه المتميز وملكاته البلاغية واللغوية وله مقدرة على نظم الشعر، وقد اتخذ لنفسه مجلساً يُلقي فيه شعره وأدبه، والرجل أيضا محدث ومؤرخ لايكتفي بذكر الروايات وإنما يقارن بينها ويناقش الرواة ثم يثبت من الأخبار ما يصح عنده، كما أن لديه المقدرة على الدخول في مجادلات ومناقشات مع مخالفيه في ميادين اللغة والنحو والعروض والشعر والأدب بعامة، ويحتج لرأيه في مجال العقيدة وعلم الكلام بالأدلة العقلية والنقلية وينتصر لمذهب الإباضية عن ثقة ويقين . وهذه الموسوعية في الثقافة وتلك المكانة الأدبية والتاريخية تنعكس فيما خلفه وراءه من آثار ومؤلفات متنوعة في الأدب والشعر والتاريخ وغير ذلك.

أما كتاب الفتح المبين فقد كتبه تلبية لدعوة من السيد حمد بن سالم ابن سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد الذي رغب أن يحفظ له ابن رزيق ما

سمعـه عن نسب الإمام وسيرته وأولاده ، وأن يدون ما جرى لهم في عمان وفي غيرها .

وقـد رتب ابـن رزيق كتـابه على ثـلاثـة أبواب ، في كـل باب عـدة فصول، وتنـاول في الباب الأول سلسلة نسب السـادة البوسعيديين الـذين ترجع أصولهم إلى أزد اليمن ، وذكر من وفد منهم إلى الشام ومن استقر به المقام في عمان، وعـرض لصحابة رسـول الله ﷺ ومن نـاصره منهم، كما تحدث عن نسائهـم الصحابيات الراويـات للحديث النبوى الشريـف وذكر بعض التـابعين والعلماء الثقاة. أما البـاب الثانى فقـد خصصه لذكـر أئمة عمان ابتـداء من الجلنـدا بن مسعـود إلى الإمام أحمد ابـن سعيد ، وعـرض لأئمة عمان وتواريخهم خلال فترة الحكم الأموي والعباسي، وأوجز أحداثا يصل مداهـا الزمنى إلى نحو خمسمائة سنة، وأتبـع ذلك بذكر نبـذة عن بني نبهان ملوك عمان العظام، ثم عرض لتـواريخ الإمامة والولاية في عمان إلى أن انتقل ملـك اليعاربـة إلى الإمام أحمد بـن سعيد سنـه ١١٥٤هـ ، وهنـا يسهب المؤلـف في الحديث عـن الإمام وخلفـائه من بعـده حتى نهايـة عهد السيد سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد في عام ١٢٧٣هـ ، ويخصص لذلك الباب الثـالث مـن مؤلفه ، ولكنـه يفرد سيرة السيـد سعيد بـن سلطان في كتاب خـاص يلحقه بكتـاب الفتح المبين ويسميـه: « بدر التمـــام في سيرة السيد الهمام سـعيد بن سلطـان» ويذكر أن السبب في ذلك هو مـا جرت به عادة المؤرخين من عدم التأريخ للعظماء إلا بعد وفاتهم ، فلما توفي سعيد في التاريخ المذكور، ذكـر ابن رزيق ما جرى في زمانه، وقـد تم نسخ الكتاب كله في الثـالث والعشريـن من شهـر ربيع الآخـر سنة ١٢٧٤هـ وأرخ فيه صاحبـه لنحو ١٢٠ سنـة ما بين سنتـي ١١٥٤هـ، ١٢٧٣هـ. ويعتبر ابن رُزيـق أقـدر المؤرخيـن لهذه الفتــرة بحكم معاصرتــه لـهـا ومعايشتــه لأحداثـهـا .

وأما عـن مصادره فقد اعتمد المؤلـف في تناوله لتـاريخ الفترة الأولى على مـا كتبـه الأقدمـون مـن أمثـال ابـن إسحـاق والواقـدي وابـن هشـام

والمسعـودي . وفي التأريخ لعمان خلال الفترة التي لم يعاصرها، اعتمد على تاريـخ الشيخ محمـد بن عـريق العـدواني وعلى كتاب كشـف الغمة الجامـع لأخبـار الأمـة لسعيد بـن سرحـان، وعلى مـراجـع أخرى أشـار إليهـا في مناقشاته للأخبار والروايـات وإن لم يذكر عناوينها ولا أسماء مؤلفيها ، كما يذكـر روايات عديدة عـن المسنين من ثقاة ذلك الـزمان من أمثال المشـايخ معروف بـن سالم الصـايفي[1] وخـاطر بـن حميد البـداعى النخلى ومحسـن العجمى القصاب ،كما يروي عن أبيه ما شـاهده بنفسه أو سمعه عن جده رزيـق بـن بخيت، وكـان هـو نفسـه شـاهـد عيان في الفترة التـي عـاصر أحداثها، ودونهاكما رآها ، وهذا كله يجعل كتابه موضع الثقة والتقدير

وقد قـامت وزارة التراث القومـى والثقافة في سلطنـة عمان مشكورة بنشر كتاب الفتح المبين بتحقيـق وعناية الأستاذيـن عبد المنعم عامـر ومحمد مرسى عبد الله اللذين بـذلا جهداً محمودا في ضبط النص وشرح غوامضه وتحديد وتحقيـق ما ورد به مـن أماكن وبلـدان وتقديمه للقـارىء في صورة لائقة تتناسب مع أهميته ومنزلة مؤلفه.

والصفحـات التاليـات محاولـة لتقديـم أهم الأفكـار والقضـايا التـي عرضها هذا السفر الهام.

عبد الله محمد جمال الدين

القاهرة

٦سبتمبر سنة ١٩٩٤

---

(١) هكذا «الصايفي»- بالفاء- في الأصل ، والصحيح «الصايغي» - بالغين- ماجاء في نفس الأصل ص ٣٤٧.

البـــاب الأول

الســـادة البوســـعيديون

نسبهم : أصلهم وفروعهم

يتصل نسب السادة البوسعيديين إلى الأزد ، والأزد ينتهي بدوره إلى يعرب ابن قحطان بن هود عليه السلام ، وفد بعضهم إلى الشمال وإلى عمان ، كما وفد بعض فروعهم إلى الحجاز ، ومنهم طائفة في الكوفة .

ومن فرسانهم الشعراء عبد شمس بن الحارث ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو صاحب راية عامد يوم القادسية ، ومنهم جندب ابن زهير ، قتل مع عليّ في يوم صفين ، ومنهم مالك الأهبينة الشاعر ، ومنهم أبو تمام حبيب ابن أوس الطائى ، ومنهم أبو الطيب المتنبي ، ومنهم الإمام مالك بن أنس الأزدي .

ومن ذريتهم بعض حكام عمان الذين ينتمون إلى مالك بن نصر الأزدي، ومن ملوك الأزد امرؤ القيس بن حجر . . . بن الحارث ، كان أبوه ملكًا عظيماً ، مات مقتولاً ، وأخذ امرؤ القيس بثأره في خبر مشهور، ثم مضى بعد ذلك إلى قيصر الروم يستنجد به للقضاء على العرب ، فتآمر رجل من بني أسد عليه، وأوغر صدر قيصر الروم عليه حتى قتله .

ومن سادة الأزد وزعمائهم وشجعانهم بنو المهلب بن أبي صفرة ، وفي وقت المهلب ، لم يكن هناك رجل يضارعه في الحزم والعزم والعلم والصدق والأمانة والوفاء والرواية للحديث والخطابة والبلاغة والشعر والبيان ، وأخباره في قتال الأزارقة وغيرهم مشهورة، وكذلك أخبار أولاده الذين عملوا لبني أمية، وهذه الأخبار مفصلة في مظانها من كتب التاريخ .

وكان زياد بن المهلب عاملاً على عمان من جهة أخيه يزيد بن المهلب وكان يكرم اليمانية ، وقد أساء السيرة فعزله أخوه عن عمان وولى عليها

عمر بن عبد الله بن أبي صبيحة الأنصاري فأحسن السيرة في أهلها .

ومن اليمن الأزدية قحطبة ، وكان أحد نقباء بني العباس ، وأخزم ابن أبى أخزم جد حاتم الطائى ، وهو الذي تضرب به الأمثال فيقال «شنشنة أعرفها من أخزم» ، ومنهم الطرماح بن حكيم .

وبعد أن يذكر المؤلف طرفًا من أخبار اليمن والتبابعة ، ينتقل إلى الحديث عن خروج الحبشة إلى أرض اليمن ، ويذكر قصة أصحاب الأخدود ، وكيف انتقم الله من ذي نواس الحميرى وأصحابه ، لإحراقهم المؤمنين . ثم يتحدث عن خروج الحبشة إلى مكة لهدم الكعبة الشريفة ، فيذكر خروج أبرهة الحبشى إلى مكة ومعه أفيال ، يهدف إلى هدم الكعبة المشرفة ، ليصرف الناس عن الحج اليها، وكيف هَزَم بعض القبائل العربية التي صادفها ، ثم لقي عبد المطلب الذي طالبه برد مائتى بعير استولى عليها جيشه ، ثم وُجّه فيل أبرهة نحو الكعبة فبرك ، فلما صرف الى الاتجاه الآخر مضى ، ثم أرسل الله طيرًا أبابيل دمرت جيش أبرهة على النحو الذي ذكره الله تعالى في سورة الفيل .

ويتحدث عن : خروج ابن ذى يزن إلى كسرى ، يطلب منه الإتيان الى اليمن ويستنصره على الحبشة ، وقد أخرج له كسرى من كانوا بالسجن، ووجههم معه نجدة له ، وحدثت موقعة شديدة تمكن بعدها ابن ذي يزن من العودة الى صنعاء منتصرًا ، وتولى «أبرهة» الأمر من بعده ، وبقي الملك في حمير حتى الإسلام .

بعد ذلك يذكر المؤلف بطون عمرو بن الحاف ويذكر بعض مشاهيرهم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وغيرهم ، كما يذكر بعض مواليهم وشعرائهم، ثم يتحدث عن أخبار طيّ بن الأزد ونسبه ، وعن علمائهم والمشهورين منهم ، ثم يذكر أنساب كندة بن نصر ، وأنساب ولد عمرو بن الغوث .

وهنا لابـد أن نشير الى أن صاحب الكتاب لا يفـوته أن يذكـر بعض المسائل الصرفية واللغوية اعتماداً على الخليـل وغيره ، وقد يختار شعراً يدل على الموقف ويعبر عن ذوق أدبى رفيع ، مثل قول مازن لرسول الله ﷺ :

اليـك رسول الـلـه خبـت مطيتـى   تجــوب الفيافي من عمان إلى العرج

لتشفع لي يا خير من وطىء الحصى   فيغفـر لي ذنـبـي فارجـع بالفـلـج

ينتقل صاحـب الكتاب بعد ذلك إلى عصر النبى ﷺ فيذكـر صحابته وأنصاره مـن الأزد ، منهم أبي بن كعـب وأبى بـن معاذ ومنهم أنـس ابن معاذ وأنس ابن مالك ، وزيد بن أرقم ، وزيد بن حارثة وغيرهـم كثير ممن له صحبـة ورواية مثـل الحباب بـن المنذر ، ولا يغفـل المؤلف ذكـر بعض مرويـات هؤلاء من الحديث النبـوى الشريـف ، ويقدم ترجمة مفصلـة لمعاذ ابن جبـل تتضمن فضائلـه والأحاديث التي رواهـا عن النبى عليـه الصلاة والسلام واستعمال الـرسول له على اليمن . . . إلـخ . كذلك يقـدم ترجمة مفصلة للنعمان بـن بشير وأخرى لسعد بـن معاذ ولسعد بـن عبادة ، وغير هـؤلاء كثير ، ومنهم مـن شهد بـدراً وأحداً وغيرهما مـع رسول اللـه ﷺ ونال شرف الشهادة دفاعًا عن الإسلام وعن رسول الله ﷺ .

يُتبـع المؤلف ذلـك بـذكر الصحـابيات الـراويـات من الأزد ، ومـن أبرزهن أسماء بنت عمرو بن عدى ، وأسماء بنت يزيد بن السكن وهما ممن بايعن ببيعـة العقبة ، والأخيرة ابنة عم معـاذ بن جبل ، وكانـت من ذوات العقل الراويات عن رسول اللـه ﷺ ، ومن الأزديات الصحابيات الخنساء بنت عمرو بن شريـد الشاعرة السلمية المشهورة ، أجمع أهل العلـم بالشعر أنه لم تكن امرأة قـط لا قبلها ولا بعدها أشعر منها ، وقصتهـا مع أولادها يوم القادسية معروفة .

ثم يذكر المؤلف علماء الأزد وثقاتهم ، ومن رووا عنهم من أصحاب رسـول الله ﷺ ومـا رووه من أحـاديث، مـن أبرز هـؤلاء جابـر بن زيـد

العماني ، الذي نقل المؤلـف نحو خمس عشرة صفحة من كتـاب «الترتيب» تتضمن بعض مروياته من الحديث النبوي الشريف .

وينتهز المؤلـف الفرصة فيتحدث عـن بعض السور المدنيـة والمكية في القرآن الكـريم ، يتلـو ذلك ذكـر مجموعـة من مشـاهير العلماء العمانيين ، وينهي الباب الأول مـن كتابه بذلـك . وبهذا يكون قد فرغ مـن المقدمات التـي استغرقـت هذا البـاب كلـه ، لننتقل بعـد ذلك الى الموضـوع الأصلى لمؤلّفه حيث يخصص الباب الثانى للحديث عن أئمة عمان .

البــــاب الثـــــانى
أئمة عمان من الجلندا بن مسعود
إلى الإمام الحميد البوسعيدي أحمد بن سعيد ونسله

يستفتح ابن رزيق هذا الباب بذكر عمان زمن الدولة الأموية ، فيقرر أنه في زمن عبد الملك بن مروان تولى أمر العراق الحجاج بن يوسف الثقفى وكان على عمان سليمان وسعيد ابنا عباد بن عبد بن الجلندى اللذان هزما للحجاج جيوشًا كثيرة ، الى أن تمكن والى العراق من إعداد قوات برية وبحرية ضخمة، سيطرت على عمان بعد معارك شديدة ، ثم توالى العمال على عمان طوال فترة الأمويين ، وينتهز المؤلف ورود اسم عمر بن عبد العزيز فيذكر شيئا من سيرته العطرة وبعض خطبه اعتمادًا على مروج الذهب للمسعودى . وقد استعمل عمر بن عبد العزيز على عمان عمر ابن عبد الله الأنصارى الذي أحسن السيرة في أهلها ، ثم تولى زياد بن المهلب الذي ظل بعمان حتى ظهر أبو العباس السفاح .

هنا تبدأ الدولة العباسية ، وتبقى عمان تابعة للعراق ، يستعمل واليها عاملاً له على عمان ، وكان الوالى عليها جناح بن عبادة زمن السفاح، وهنا يحدث تطور في عمان ، وتنعقد الإمامة للجلندى بن مسعود، ويقوى به المذهب الإباضي ، ويحدث قتال بين العمانيين والعباسيين ، ويرفض الجلندا الاعتراف بخلافة بني العباس ، ويظل يقاتل حتى يقتل في حومة الوغى بعد سنتين وشهر ، واستولى جبابرة العباسيين على عمان فأفسدوا فيها .

بعد ذلك اجتمع العلماء واختاروا الوارث بن كعب الخروصى اليحمدى الشارى إمامًا لهم ، فتتبع آثار السلف وأظهر العدل وأقام اثنتى عشرة سنة وستة أشهر[١] ، وتمكن في زمنه من هزيمة جيش لهارون

(١) أثبت الامام نور الدين السالمي أن فترة امامة الوارث بن كعب كانت اثنتى عشرة سنة وثلاثة أشهر «تحفة الأعيان ج١ ص ١٢١».

الـرشيـد، وقتـل قـائده ، وقد جهـز الخليفـة العبـاسي جيشًـا آخـر بهدف الانتقام، لكنه مات قبل إنفاذ جيشه الى عمان .

بعـد وفاة الـوارث بـويـع غسان بـن عبـد اللـه الفجحى اليحمـدي الأزدى، فـأعز الحق وحـارب الفساد ، ولـه دور مشكور في القضـاء على قطاع الطريـق وعصابات القراصنة، ومـات سنة ٢٠٧هـ بعد إمـامة دامت نحو خمس عشرة سنة ، وبـويع من بعده عبد الملك بـن حميد الأزدي وبقي في الإمامة ثماني عشرة سنة . وفي سنة ٢٢٦ هـــ ولى المسلمون أمرهم المهنا ابن جيفر الفجحي اليحمدي الأزدي فاشتهر بالمهابة والحزم وأمكنه القضاء على البغـاة والخارجين عليه . وفي سنـة ٢٣٧هـــ تولى الصلـت بـن مالـك الأزدي الخروصي ، وبقى في الإمامـة أطول فترة ينشر الحق والعدل الى أن اعتزل ثم مات سنة ٢٧٣هـ.

وكـان الصلت قـد تنازل عـن الإمامـة بسبب ضعفه ، لـراشد بـن النضر، وتسبـب ذلك في حـدوث وقـائع بين أهـل عمان يعرضهـا المؤلـف بتفصيل ، ولا مجال لذكرها في هذا الموجز ، ولم تزل الفتن تتراكم بين أهل عمان حتى عقدوا في عام واحد ست عشرة بيعة ولم يفوا بواحدة منها .

وقد انتهـت هذه الفتـن بتطور أعاد عمان الى التبعيـة العباسيـة ، فقد توجه بعـض أهلها الى البحرين حيثٌ كـان «محمد بن نور» عـاملاً للخليفة العباسى المعتضد، ومنها قصدوا الخليفة «فـاستخرج لمحمد بن أبى القاسم على محمد بن نور عهدا على عمان» ولماقدم على محمد بن نور بدأ يجهز الجند الذي سيمضى الى عمان، فاتصل الخبر بأهلها واضطربوا وتفرقت آراؤهم، ثـم جاء محمـد بن نـور ، فسلمت لـه كـل عمان بعد قتـال ذاق أهلها فيـه الأهوال، ثـم رجع محمد بـن نور الى البحـرين وجعل أحمد بـن هلال على سائر عمان .

ومرت البلاد بفترة اضطـراب ، ثم جاء القرامطـة فكثروا في عمان ، وتغلبوا على سائر البلدان حتى سيطروا على مكة والشام ، وعطلوا الشعائر

كما هـو معروف، وخلـت عمان من عقـد الإمامـة لسنين ، وتغلب عليهـا السلطـان العباسي ، واستمـر الاختلاف بين أهـل عمان حتـى ظهر الإمـام سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب .

ـ الإمام سعيد بن عبد الله :

لم يعرف تـاريخ بيعتـه ولا مدتها ، وكان إمـام عدل لم يعـرف أفضل منـه، قتل شهيـداً سنة ٣٢٨هـ وهو يحاول الفصـل بين فرقتين متحـاربتين بسبب العصبيـة القبلية . وبعـد وفاتـه اجتمع ذوو الـرأى في منزل بنـزوى حيث بايعوا الإمام راشد بن الـوليد ، وقد أخذ عليهم المواثيق والعهود ، وبعث العمال للبلدان ، وقـام بكل وظائف رئيس الدولة ، دينيـة ومدنية، وأحسـن الى رعايـاه ، ثم استحـوذ الشيطـان على بعض شعبـه، وحدثـت عداوات، وظهـر نفاق بعـض رعيته ، وجيشـوا له الجيـوش وتألبـوا عليه حتى خـرج من بلده ، وهـزم أنصاره، وانفض عنـه جميع مَنْ كـان معه ، وتمكن السلطان الجائر من السيطرة على جميع بلدان عمان ودان له كل الناس ، وبقي الإمام خائفًا لائذًا برؤوس الجبال ، ثم اضطر الى الاستسلام أخذاً بمبدأ «التقية» بعد أن انعدمت كل الحيل ، وبقي مدة قليلة ثم مات مفقوداً ، وفضائلـه تجل عن الحصر، فقد كان صـادق الفعل واللسان، ورعـا عن المحارم ، متوشحًا بمكارم الأخلاق، مضربًا للأمثال .

ولما ارتفع ظلم العباسيين عن عمان ، بايع أكابرها الخليل بن شاذان، فعرفـت البلاد الأمن والاطمئنـان في ظل عـدله ، واستمرت دولتـه بضعًا وأربعين سنة، ثم بويع راشد بن سعيـد الذي التزم نهج السلف الصالح ، بعده جاءت الإمـامة لحفص بن راشد ثـم لراشد بن على ، بعده بـويع أبو جابر مـوسى بن موسـى المعالى بن نجاد، ثـم مالك بن أبـى الحواري سنة ٨٠٩هـ ـ ١٤٠٦م .

أعقـب ذلك فترة اضطـراب ، وتعرضـت «عمان» لغزوات أجنبيـة، وقاوم أهلهـا الغزاة على نحو ذكـر المؤلف أنه استوفـاه في كتاب له عنـوانه «الصحيفة القحطانية» .

ـ عمان وبنو نبهان :

كان بنو نبهان ملوكًا عظامًا ، ومن المتعذر إحصاؤهم لكثرتهم ، وأشهرهم جودًا ونسبًا وسياسة الفلاح بن المحسن ، وكان مغرمًا بالتعمير محبًا للشعر والشعراء متواضعًا مهابًا ، ولما مات تولى المملكة والسلطان من بعده عرار بن الفلاح بن المحسن ، فكان على نهج أبيه كرماً وخلقًا ، ثم ملك من بعده مظفر بن سليمان ابن سليمان ، فمخزوم بن الفلاح بن المحسن، و قد خرج عليه نبهان بن الفلاح الذي استولى على «مقنيات» وكان هذا بداية تجمعات وحدوث قتال بين طوائف وفي مدن مختلفة : في «صحار» و«ينقل» وغيرهما ، وعم الجور وكثر بغى «نبهان» حتى مله الناس ، وحملوه على الفرار الى دار أخواله «الريايسة» «أولاد الريس» سنة ١٠٢٦هـ ، وقد استعان بهم على العودة ودخل «ينقل» حيث دارت معارك انهزم فيها «نبهان» وتفرق جنده .

ولما اشتد فساد بني نبهان في عمان ، اجتمع أكابر وعلية البلاد ، وعقدوا لأبي الحسن عبد الله بن خميس بن عامر الأزدى سنة ٨٣٩هـ ، وقد حكم حتى سنة ٨٤٦هـ ومات دون أن ينكر عليه أحد شيئًا ، بعده تمت البيعة للإمام عمر ابن الخطاب بن محمد بن أحمد بن شاذان بن صلت اليحمدى الأزدى الخروصى سنة ٨٣٥هـ ، وهو الذي حاز أموال بني نبهان، وأطلقها لمن عنده من الشراة ، فقد حكم القاضى سنة ٨٨٨هـ بأن جميع أموال بني نبهان هي حق المظلومين من أهل عمان . وقد تولي بعد عمر بن الخطاب، جماعة قصرت فترة إمامتهم ، ثم آل الأمر لمحمد ابن إسماعيل فسار سيرة حسنة ، ومن بعده تولى ابنه بركات سنة ٩٠٦هـ، ثم بويع لعبد الله بن محمد القرن الهنائى سنة ٩٦٧هـ ودخل مع سلفه في صراع حول حصن «بهلا». وقد كان ملوك بني نبهان ، في جملتهم ظلمة مفسدين ، ولما أراد الله تخليص أهل عمان من بغيهم ، يسر لهم الإمام الأرشد : ناصر بن مرشد بن سلطان بن مالك بن أبى العرب الأزدي اليماني . . . الإباضي .

ـ **الإمام ناصر بن مرشد :**

اختلف أهل الرستاق فيما بينهم ، فاجتمع سبعون من جهابذة الأعلام الشراة ، وقرروا اختيار الإمام ناصر آمراً بالمعروف ناهيًا عن المنكر ، فأجاب بعد اعتذار شديد وكان ذلك سنة ١٠٣٤هـ ، وفي ذلك الوقت كانت البلاد والحصون متفرقة وموزعة ، كما كانت «صحار» و«مسقط» و«قريات» و«صور» بيد النصارى ، وقد نال الإمام الجديد مؤازرة رجال اليحمد ، وارتفع بهم الظلم ، وعم العدل العامة والخاصة ، وسلمت له حصون عديدة ، ودعاه بعض أهلها لتسلمها فاستجاب ، وإن ظهر بعض المتآمرين عليه فقرر نفيهم ونهى عن قتلهم ، ودان له الجميع لم يشذ عنه إلا صور وقريات ، فقد كانتا بيد النصارى كما أسلفنا ، لكن هذا لا ينفي أنه قام ببعض الحروب ، وفرضت عليه معارك ضد من خرجوا عليه هنا وهناك حتى دانت له كل القبائل العمانية .

وقد استنجد البعض بنصارى مسقط ، أثناء محاصرة جيش الإمام لبلدة «لوى» فأمدهم النصارى بالزاد والعتاد ، ولكن الله أحبط كيد الجميع ، وتم الانتقام من النصارى ، وأرسل الإمام جيشًا هدم بروج مسقط ومبانيها وقتل من النصارى خلقًا كثيراً ، واصطلح الطرفان على أن يدفع النصارى جزية سنوية للإمام، وتعهدوا بعدم إيذاء أي مسلم يفد على مسقط، وقد وفى النصارى بالعهد ثم نقضوه ثم اتفق على تجديد الصلح مرة أخرى . أما حصنا «صور» و«قريّات»، فقد استولى عليهما جيش الإمام ، بعد حروب شديدة ، وبذلك دانت جميع أقاليم عمان لناصر ابن مرشد ما خلا مسقط ومطرح والحصن الذي كان بيد النصارى في صحار، وقد لقى رجال الإمام العنت من بعض القراصنة وقطاع الطريق ، ودخلوا معهم في قتال ، وكان الظفر دائماً لجند الإمام .

وإذا أردنا الإيجاز فإن من الممكن أن نقول : إن الإمام ناصر ابن مرشد بلغ الغاية في الإنصاف والعدل ، وقد أعز الله به الإسلام وأذل

المشركين والمنافقين ، ولم يبق معاديًا له إلا جماعات من النصارى تحصنت في مسقط ، ونصب لها الإمام حربًا أضعفتها وفرقتها ، وكادت تقضي عليها ، وأخيراً كانت وفاة ناصر بن مرشد بنزوى سنة ١٠٥٩هـ بعد حكم دام ٢٦ سنة .

يمضى المؤلف بعد ذلك فيعدد بعض فضائل هذا الإمام ويذكر تحقق فراسة بعض الناس فيه ، وحرصه على مال المسلمين وتقتيره على نفسه وعلى أسرته . .

ـ الإمام سلطان بن سيف بن مالك بن بلعرب الحميري الأزدي الإباضي :

بويع بالإمامة فأقام العدل ، وشمر عن ساعد الجد ، وقاتل بنفسه ضد من بقي من النصارى بمسقط حتى نصره الله عليهم .

وكان هؤلاء النصارى من البرتكيس أي البرتغاليين الذين ملأوا حصون مسقط وجبالها بالبروج ، وأقاموا بها رجالاً يقاتلون بالبنادق ، ونصبوا بها الكمائن، وأقاموا في الهواء سلسلة من حديد ، وسيطروا على جبلى السعالىّ والمكّلا من أولها الى آخرهما ، وكان صوت بنادقهم لا يفتر خاصة إذا ما جن الليل ، وكان عندهم من الجواسيس من ينقل اليهم كل الأخبار ، وبلغوا القمة في الحذر ؛ ولذلك كانت الحرب بينهم وبين عسكر الإمام سجالاً ، ولم يكن في مقدور البرتغاليين أن يخرجوا من «المطرح» كما لم يكن في مقدور الإمام أن يدخل «مسقط» على هؤلاء النصارى ، وإن قتلوا الكثيرين من المسلمين .

ثم شاء الله أن ينفرج الموقف ، وأن يحدث لون من الشقاق بين البرتغاليين وبين حليفهم الهندى المجوسى عابد البقر المسمى «نرتم البانيانى» بسبب رغبة أمير البرتغاليين في الزواج من ابنة هذا الهندي الجميلة، ولكن المجوسي رفض بسبب اختلاف الدين ، ولأن ذلك لم يحدث لا في القديم ولا في الجديد ، ولكن الأمير البرتغالى صمم على أن يتحقق له ما يريد، الشيء الذي اضطر الهندى معه الى اللجوء للحيلة ،

فطلب إمهاله سنـة ليتيسر له تجهيز ابنته بما يليق بالملـوك، وفي نفس الوقت أخـذ يخوف البرتغـالى بمـن يحيطـون بـه مـن المسلمين ، ويحذره مـن أنهم مستعدون للهجـوم عليه ، ويظهـر له النصـح حتى قبـل تأجيـل الزواج ، وسمح للهنـدى بالخروج من الحصنين ، وكـان الأخير قد نجـح بحيلة في إبطال مفعول ما فيهما من سلاح فعال. ولما خـرج ذلك الرجل الهندى من حصون النصـارى كتب في الحال للإمام سلطـان يطلب منه سرعة الـوثوب الى مسقط، ويشرح له كيـف احتال على البرتغاليين حتى انتهـى الماء والزاد والبارود من حصونهم ، وكيف تم صب الخل على البارود فأبطل مفعوله.

وقد استجـاب له الإمـام بعد أن تأكـد من صـدقه وأخفـى الخبر عن العامة والخاصة ، وهجم على عدوه في ليلة عربد فيها البرتغاليون وسكروا احتفالاً بعيـد لهم، وقد تـرك المسلمون هـؤلاء النصارى «صرعـى، كأنهم أعجاز نخل منقعر» ، وتم للإمام السيطرة على السور والحصنين والصيرتين وسائر المقابض، وقضى المسلمون على مراكب الأعداء ، وأصبحت مسقط كلها بأيديهم، وانهزم المشركون شر هزيمة، وخاف البغاة.

وبـاختصـار لقـد عمـرت عمان في أيام الإمـام سلطـان بـن سيـف، ورخصت الأسعار ، وعم الـرخاء ، وكان ذلك الإمام مشهوراً بـالتواضع ومخالطة الرعية والمحافظة على أوامر الشرع الى أن مات سنة ١٠٩١هـ .

ـ الإمام بلعرب بن سلطان :

تـولى بعد والـده وعـرف عنه الكـرم والإنصـاف ، وقـد انتقل مـن «نزوى» الى «جبرين» فبنـى حصنها كما بنى بها مدرسـة خرجت العديـدين من الفقهاء والعلماء والأدبـاء. وفي أيامه جرت فتنة عظيمـة بينه وبين أخيه سيف ، واجتمـع أكثر أهـل عمان على مبايعـة أخيه تقيـة، وقد أخـذ عليه سيـف كـل حصون عمان ووقعـت حـرب شـديدة بينهما ، وانتهـى الأمـر بمحـاصرة بلعرب في حصـن «جبريـن» حتى مـات فيـه ، وخلص الأمـر لسيف بن سلطان .

ـ الإمام سيف بن سلطان :

كان إمامًا عادلاً منصفًا لرعيته ، دانت له جميع قبائل عمان وغيرها ، وحارب النصارى واستلم منهم ممباسة والجزيرة الخضراء وكلوة وغيرها ، وعرفت عمان العمران في زمنه وكثرت فيها الأنهار والأشجار ، وقويت به وصارت خير دار، ولم يزل كذلك حتى توفي سنة ١١٢٣هـ بالرستاق ، ودفن في قبر عليه قبة هدمها الوهابيون بعد ذلك .

ويذكر المؤلف أن هناك كتابًا للعالم محمد بن عريق العدوانى، يتضمن حديثًا عن سيف بن سلطان وعن النهضة العمرانية والزراعية في أيامه وعن استعداداته العسكرية والبحرية وعما عمله لصالح المسلمين .

ـ الإمام سلطان بن سيف :

انتقل الأمر اليه بعد والده ، فجاهد الأعداء في البر والبحر ، وبني حصن الحزم وانتقل من الرستاق إليه ، وأنفق فيه كل ما ورثه عن أبيه ، علاوة على ما اقترضه من المساجد وأموال الأوقاف ، وقد غزا البحرين حتى خلصت له ، ولم يخرج عليه أحد لا من عمان ولامن غيرها ، وهابه الناس ، وله في هذا الباب قصص وحكايات .

ـ الإمام مهنا بن سلطان :

لما توفي الإمام سلطان ، وقع الاختلاف بين أهل عمان ، فأراد البعض أن يكون الأمر لولده سيف ، وكان صغيراً لم يبلغ الحلم ، بينما رغب أهل الحل والعقد في نقل الإمامة لمهنا بن سلطان، إذ ليس هناك ما يحول بينه وبين الإمامة، خاصة وان سيفاً ما يزال صبياً، والصبى لا يعرف الأحكام ، ولا يلي الأمور والدماء والفروج ، ولا يجوز له أن يقبض مال الله ، فكيف يملك أمور الناس ؟ لذلك نادى الشيخ عدى بن سليمان الذهلى قائلاً : «أَمَامكم -بفتح الهمزة والميم- سيف بن سلطان» ، منعًا للفتنة ، ثم لما هدأ الموقف أدخل مهنا الحصن خفية ، وعقدت له الإمامة سنة ١١٣١هـ .

وكان إمام عدل وإنصاف، حريصًا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعرفت البلاد الرخاء في أيامه ورخصت الأسعار وكثرت الثمار، ولم ينكر العلماء عليه شيئًا الى أن قتل بسبب عداوة كانت كامنة بين اليعاربة وأهل الرستاق ، فقد كانوا لا يريدونه إمامًا ؛ لذلك حرضوا يعرب ابن بلعرب بن سلطان حتى خرج عليه وتخلى أهل عمان عن نصرة «مهنا بن سلطان» حتى تمكن أهل «الرستاق» من حصاره في «قلعتها» ، ثم وافق على النزول منها بعد أن نال أمان «يعرب» وعهده ، لكن بعض خدام الأخير، هجم عليه بالسجن وذبحه هو ومن معه .

واستقام الأمر ليعرب بن بلعرب ، وحكم باسم الصبي سيف ، وسلمت له جميع الحصون والقبائل ، وفي سنة ١١٣٣هـ استتابه القاضي من بغيه ، وجميع أفعاله الماضية «والمستحل لما ركبه إذا تاب ورجع تجزيه التوبة» ولذلك عقدوا له الإمامة بعد تلك التوبة ، وأطاعته الرعية وانتقل من «الرستاق» الى «نزوى».

لكن أهل الرستاق ظلوا يكاتبون بلعرب بن ناصر خال سيف بن سلطان حتى خرج على الإمام يعرب وحالفه بنو هناة بعد أن وهبهم الكثير، وصحبوه من نزوى الى رستاق ، وحاربوا واليها وأحرقوا الحصن، واحترق بحرقه بعض الناس وبعض كنوز العلم من الكتب.

ولما بلغ يعرب بن بلعرب ما صنعه أهل الرستاق ، أرسل بعض السرايا وبعض المكاتبات ، وتمكن من تخليص بعض البلدان ، ثم دخل أعوانه الرستاق وانتقموا من قادتها وأهلها ، ثم اجتمع الناس وطلبوا منه ترك الإمامة حقنًا للدماء ، فاستجاب على أن يبقى بحصن يبرين «أي جبرين» ولا يسوءوه بسوء ، ثم نودي بالإمامة لسيف بن سلطان ، وخلصت له جميع حصون وقبائل عمان ، واستقام له الأمر نحو شهرين.

ـ الإمامة والولاية في عمان :

استقر الأمر ليعرب بن ناصر على أنه القائم بالدولة ، وأن الإمام هو

سيف بن سلطان، ووفد رؤساء البلدان والقبائل عليهما للتهنئة، وهدد يعرب بن ناصر بعض القبائل وخاصة بني غافر وأهل بهلا ، الشيء الذي جعلهم يكاتبون يعرب بن بلعرب يحرضونه على الخروج ، فاستجاب لهم ودخل قلعة نزوى، وتحزبت بعض القبائل لهذا والأخرى لذاك ، وحدثت معارك يشيب من هولها الولدان قتل خلالها خلق كثير ، منهم مالك ابن ناصر ثم حوصرت نزوى نحو شهرين، ثم توجه محمد بن ناصر الى الرستاق وأمر أعوانه ألا يبدأوا أحدًا بحرب، وبعد قتال أتاهم بلعرب بن ناصر يطلب الصلح، فتم الصلح ومضى الجميع إلى قلعة الرستاق، وملك محمد الحصن والقلعة وسلب ونهب وسبي الذراري حتى بيع بعضها في غير عمان .

ومات يعرب بنزوى سنة ١١٣٥هـ ، وكتم أهلها موته نحو خمسين يومًا خشية أن يقوى عليهم العدو ، وكان محمد بن ناصر يومئذ بالرستاق، فأمر بتقييد بلعرب بن ناصر بعدما سلمت كل حصونه إلا مقابض مسقط وحصن بركاء ، فقد كانت مسقط بيد بني هناة ، وكان حصن بركاء بيد ابن القصير الهنائى . وقد فشا الخبر بعد موت يعرب أن الإمام هو سيف ابن سلطان ، وهو لا يزال بعد صبيًا لم يبلغ الحلم ، ثم كانت فتن شديدة كقطع الليل المظلم؛ جزاء بما كسبت أيدي الناس ، فقد جمع محمد ابن ناصر جندًا كثيرًا وتحزب بعض القبائل له وبعضها عليه ، ودارت معارك شديدة في أماكن كثيرة، وخاف الناس محمدا هذا خوفًا شديدًا ؛ لإسرافه في الانتقام وسفك الدماء . وانتهى الأمر بأن رجع الى نزوى، وجمع رؤساء القبائل وأهل العلم في عمان، وطلب منهم أن يقيموا واحدًا مكانه مع سيف بن سلطان واعتذر عن الحرب، فلم يعذره أهل نزوى ، وأغلقت الأبواب في القصر للمشورة التي استمرت يوما وليلة بحضور محمد ، وهم يسألونه القيام وهو يأبى ، ثم انتهى الرأي الى مبايعته إمامًا.

ـ محمد بن ناصر إمامًا :

رضي الرجل بمبايعته بعد أن أخذ من القوم المواثيق على طاعته سنة ١١٣٧هـ ، وسار من نزوى الى «يبرين» -جبرين- ، حيث أقام، وما لبث أن قضى على بعض الخارجين عليه ، ثم حشد جيشًا كبيرًا مضى به الى «سمايل» حيث قضى على المعارضين فيها وفي غيرها واستتب له الأمر ، ثم مضى الى الظاهرة والى ينقل ، واستقامت له الأمور بعد معارك، ولم يبق له منازع من أهل الظاهرة وأهل الجوف وأهل عمان قاطبة اللهم إلا خلف بن مبارك ومَنْ على شاكلته.

وبعد أن حشد حشودًا كثيرة مضى الى صحار وتعامل مع أهلها حتى لم يبق له محارب إلا أهل حصن صحار ، وأظهر العدل بين الرعية حتى كاد أهل الحصن أن يسلموا له ؛ لما رأوه من عدله ، وكان معه من بني ياس وبني نعيم وبني قتب خلق كثير.

يروي المؤلف عن شيوخ شهود عيان ثقاة أن محمدا اجتمع مع ألوف من الحضر والأعراب ، فمضى بهم الى صحار ، ووقعت الحرب، ودارت الدائرة على أهل صحار ، وقد أمّن الإمام ربيعة بن أحمد الوحشي وسيره معززًا مكرمًا الى ضنك، وجهز اثنتى عشر ألفًا عيونًا الى المشرق، لما بلغه أن خلف بن مبارك القصير جمع له بني هناة من الرستاق ومسقط ، وقد احتال خلف حيلة نجح بها في تفريق الأعراب عنه ، ولم يبق معه إلا الحضر، ثم أمر بالهجوم عليه، وحدث قتال شديد قتل فيه خلف وانكسر أصحابه ، كما نال محمد رصاصة على باب الحصن أردته قتيلاً أيضًا ، وأخفى أصحابه خبر قتله، ثم تلقوا رسالة من أهل الحصن ترغب في الأمان وتسليم الحصن. بعد ذلك شاع خبر موت الرجلين، فرجع الناس الى أوطانهم، ولم يبق إلا سيف بن سلطان ومن معه من اليعاربة، ومعروف أنه كان يلازم محمدًا ، وقد مضى الى الحصن ففتحت له الأبواب وسلم له ، ثم مضى الى الرستاق فسلمت له، وانتقل الى نزوى حيث

نصبه بعض العلماء إمامًا سنة ١١٤٠هـ على الصحيح، فلما سمع بذلك بلعرب ابن حمير اليعربي ، وكان يومئذ بالظاهرة التي نصبه أهلها إمامًا ، سخط على أهل نزوى .

وكانت تلك بداية تجدد المشاكل ، حيث مضى بلعرب الى نزوى فأطاعه فريق وعصاه آخر ، فأخذ يقطع أشجار المخالفين ويدمر أنهارهم ويقتل رجالهم ، والتقى جيش لسيف بن سلطان يقوده أخوه بلعرب ابن سلطان بجيش ليعرب بن حمير ، فانكسر ابن سلطان ، ومضى ابن حمير يدمر ويخرب هنا وهناك.

علم سيف بن سلطان بثورة عمان عليه ، فأرسل الى مكران ، وجاءه أقوام من البلوش سلاحهم البنادق ، وانضم اليهم أعراب الساحل ، وسار حتى التقى جنده بقيادة أخيه بلعرب بن سلطان بجند ابن حمير عند أرض الجوف وهي «الجو» عند العامة وقد هزم عسكر سيف بن سلطان بعد قتال شديد ، ومات أكثر البلوش عطشًا .

علم سيف بن سلطان بما جرى لأخيه بلعرب والبلوش ، فكتب الى ملك العجم لمناصرته على أهل عمان ، فأجابه الى حربها وخرابها والعصبة على كل من خالفه ، بعد أن وثق - عن طريق الحيلة - من فروسية سيف وشجاعته ، وفي الوقت الذي عدم فيه سيف الصديق ، أخبره رجل من خاصته أنه ليس هناك صالح للمساعدة إلا أحمد بن سعيد البوسعيدى ، لما يتميز به من حزم وشجاعة .

التقى أحمد بن سعيد مع سيف بن سلطان في نزوى ، وطلب سيف منه أن يأتي اليه في مسقط ، ولما رآه أهلا للولاية ولاه على صحار وأعمالها، فأحبه الناس حبًا شديداً ؛ لإحسانه وكرمه وإنصافه ، وانتشر ذكره وقصده الجميع فأحسن اليهم وانطلقت الألسنة ثناء عليه ، الشيء الذي أوغر صدر سيف عليه ودفعه لدعوته الى مسقط ، وأسر في نفسه حبسه ، ولما علم أحمد وهو في الطريق بنية سيف ، حين أخبره جد المؤلف

بحقيقة مراده ، رجع الى صحار مسرعًا ، وأُلقي القبض على رزيق جدّ المؤلف وبقي في الحبس ثلاثة أشهر ، ثم تجدد طلب سيف من أحمد بن سعيد أن يفد اليه ، لكن الأخير رفض ، الشيء الذي دفع سيفا الى تجهيز أربعة مراكب كبيرة ، وهناك مكث سيف أمام صحار ينتظر وصول أحمد اليه بعد أن وعده بذلك ، ولكنه لم يصل ، وأخيرًا تدخل أكابر الجبور حتى تم الصلح بين الطرفين ، ورجع سيف بمراكبه الى مسقط .

وفي تطور آخر وصلت جيوش شاه العجم الى «فكّان» سنة ١١٤٩هـ، وذهب سيف اليهم بسفنه ، فلقيهم في «الصير» وشعر بالأسف لكثرتهم الشديدة ، وهناك تلقى سيف نصيحة بعض العلماء . . «إن تكاثروا عليكم لَيسومُنّكم سوء العذاب، يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم . .» .

علم بلعرب بن حمير بما جرى، فحشد جيشًا كثيرًا وخرج من نزوى حيث التقى الجمعان بموضع يُسمى السمينى من الظاهرة ، وجرت معركة شديدة، انكشف فيها بلعرب ، ومات أكثر الناس عطشًا أو قتلاً ، ومن سلم رجع بدون سلاح ، ودخل سيف «توام الجوف» مع العجم ، ثم دخل بلدة «عبري» حيث وقع قتل وسلب عظيم ، وأصاب الناس المذلة والهوان ، حتى إن العجم ربطوا الأطفال بالحبال وأدخلوهم تحت القناطر، ولم تسمع لهم استغاثة ، وبيعت الحرائر في «شيراز» بيع البهائم ، وتساقطت الحصون واحدًا إثر آخر، ثم صالح أهل «نزوى» العجم ، فلما تمكنوا منها ، عذبوا أهلها ، وفرضوا عليهم الخراج ، وحملوا النساء الى «شيراز» ، وفعلوا أفعالاً قبيحة ، وبلغ عدد قتلاهم نحو عشرة آلاف من النساء والأطفال في نزوى وحدها .

ومع ذلك بقيت قلعة نزوى وحصنها ، لم يتمكن العدو منها ، ثم مضى العجم الى مسقط ، فاستولوا عليها ولم يشذ عن طاعتهم غير الحصنين : الشرقي والغربي ، فتركوا مسقط وتوجهوا الى بركة ، وكان

سيف بـن سلطان قـد هرب اليها ، ثـم سار الى الظاهـرة حيث التقـى مع بلعرب بن حمير ، وقرر بنو غافر أن يخلعوا بلعرب من الإمامة وأن يردوها الى سيف ، ليجتمعا معًا على أعدائهما العجم، وبالفعل مر العجم بنكسات هنا وهناك ، ودانت لسيف بن سلطان حصون عمان وأطاعته الرعية .

لكـن العلماء من بهلا ونـزوى وأزكي عقـدوا اجتماعًا شـارك فيه بنـو غافر من أهل الظاهرة ووادي سمايل ومشايخ المعاول ، واتفق رأي الجميع على عقد الإمـامة لسلطـان بن مـرشد اليعـربى ، وربما لم ينـس المجتمعون لسيف أنه هو الذي استقدم الأعاجم ، وحرضهـم ضد بني قومه أول الأمر حتى كان منهم من الأفاعيل والتخريب ما كان .

ـ الإمام سلطان بن مرشد اليعربي :

بويـع بنخل سنة ١١٥١هـ وداننت لـه حصون وقبائل نخـل وسمايل وأزكي ونزوى وبهلا والشرقية .

ولكن المشكلـة تأتي دائماً مـن تعدد الأئمـة والولاءات ، فقـد كانـت الرستاق في حوزة سيف بن سلطان ، وقد أراد محاربة سلطان بن مرشد لما عرف أنـه يقصد منطقته ، ولكن قصـور إمكانيات سيـف جعلته يهرب الى مسقط ، فآزر أهـل الرستاق سلطان وأطـاعوه ، ولكن سيف بـن سلطان جمع جنداً وتوجـه بهم الى بركة ، وحدثـت موقعة شديـدة انهزم فيها ، ولم ينج من عسكره إلا الهاربون الى الصحراء ، وأما سيف نفسه فقد رجع الى مسقط بعد أن حدثت فتنة بين من جمعهم لنصرته وقتل بعضهم بعضًا .

وأما سلطـان بن مرشـد ، فقد حشد جنداً مـن الرستاق ومـن نخل ومن رجـال وادى سمائل ومن أزكي وأعمالها ومضى الى مسقـط ففتحها ، فهرب سيف بن سلطان في مركبة ، وهبط أصحابه بأمان ، وأرسل سلطان ابن مرشد في طلب سيف ، ولكن انكسرت أجزاء من المراكب التي كانت تطلبه ، وعـادت دون أن يعلم مصيره ، وربما ذهـب الى «الصير» وامتزج بالأعاجم ، ويقال إنه شكا اليهم ما فعله به الإمام سلطان بن مرشد وأهل

عمان ، فقالوا له : «لقد أرسلنا الشاه نصرة لك ، فامض بنا حيث شئت»، واتفق معهم على التوجه الى صحار وأخذ حصنها من أحمد بن سعيد على أن يكون لهم هبة لا رجعة فيها ، فسر العجم بذلك وقالوا «لقد وفيت بعهدك ، لا عدمناك ذخرًا» .

توجه الجميع نحو صحار ، وحاصروها حصارًا شديدًا من البر ومن البحر ، وفي الآن نفسه بعثوا أقوامًا كثيرين الى مسقط لفتح حصنيها وإرجاعهما للإمام سيف ، لكن القابض على حصني مسقط من قبل سلطان بن مرشد والقابض على حصن المطرح تعاهدوا على محاربة العجم ، وقد هجموا عليهم فردوهم الى «روي»، ولما هجم هؤلاء الأعاجم على المطرح، التقاهم المسئول عنه فتكاثروا عليه وقتلوه هو وأصحابه جميعًا .

وكانت هذه الواقعة بربوة سيح الحرمل، ولهذا تُسمى مصرع الشهداء .

بعد ذلك مضى فرسان كثيرون الى قريات فقتلوا الكثيرين وأسروا نساء وصبياناً كثيرين بعثوا بهم الى شيراز .

ثم جاءت قوة من العجم المعسكرين بصحار وانضموا لإخوانهم في سيح الحرمل وهجم الجميع على مسقط، وواجههم مَنْ في حصنيها : الشرقى والغربى بالمدافع والبنادق فلم يتقهقروا وملكوا سائر المعاقل عنوة .

أما عجم صحار فقد حاصروها حصاراً شديداً وقطعوا كل المواد عمن بداخلها، وكان عجم مسقط يتلقون الزاد منهم، وأتتهم قوات من شيراز حتى بلغ عدد المحاصرين لصحار ٦٠ ألفاً، أما سيف بن سلطان فقد شعر بالندم الشديد لأن الأعاجم استولوا على مسقط ولم يقدموا له شيئاً، لذلك انسحب الى الحزم خفية، واستمر حصار صحار تسعة أشهر لم يسمع خلالها إلا أصوات المدافع وكأنها الرعد يصم الآذان .

لما علم الإمام سلطان بن مرشد بكل ما جرى من العجم ، جمع أقواماً كثيرة سار بهم من الرستاق الى صحار، لكن جنده تخلوا عنه

باستثناء مائتين دلف بهم الى صحار، وحدث قتال شديد قتل فيه قائد العجم ، وأصيب سلطان ابن مرشد بجراحات ثم مات بعد ثلاثة أيام وتفرق صحبه، ولما بلغ سيف بن سلطان مقتل ابن مرشد، مات حسرة بعد أيام ، واستمر أحمد بن سعيد يناوش العجم ويخرج اليهم من الحصن ويقتل منهم، لكن قوته ضعفت بموت سيف بن سلطان واضطر الى مصالحتهم على أن يرحلوا ويحملوا ما عندهم من سلاح وزاد، وبالفعل توجهوا الى بندر العباس ومنها الى شيراز.

بعد ذلك ذهب أحمد بن سعيد الى «بركاء» فاستخلص حصنها، ونظم سوقاً شريفةً بها وأتتها السفن التي كانت تمضي الى مسقط وانتظمت الحركة التجارية بها حتى ضجر العجم من مقامهم بمسقط وضياع صحار منهم، لذلك طلبوا من أقرب اليعاربة نسباً الى سيف بن سلطان وهو ماجد ابن سلطان أن يذهب الى شيراز، وأن يأتيهم بكتاب من الشاه بتسليمه ما في أيديهم من معاقل، فاستجاب، وأثناء العودة قذف طوفان بسفينته الى صحار، فحمل الى أحمد بن سعيد واعترف له بكل شيء، فأخذ أحمد منه كتاب شاه العجم، ودفعه الى رجل من أعوانه مضى به الى مسقط، فسلموه المعاقل كلها ظناً منهم أنه من جماعة ماجد بن سلطان .

وإذا كان لنا تعليق عند هذه المرحلة في البحث فإننا نقول :

إن المرء ليعجب ، كيف تستقيم حياة هؤلاء وهم في صراع وقتال دائم ضد بعضهم البعض ، ما أن تنتهي معركة حتى نبدأ في الاستعداد لأخرى ، ونخرج من أزمة لندخل في ثانية ، وليت هذه المجهودات الضخمة كانت موجهة لعدو مشترك أو تبغى الصالح العام ، إنها المصالح الشخصية والنفع الذاتى الذي دفعنا الى الاستنجاد حتى بالأعداء على بني أبينا وأقوامنا ، فجاء الأجنبى وخرّب الديار وسفك الدماء وأحرق الزرع وغور الأنهار وباع نساءنا في الأسواق بيع البهائم والسوائم والدواب ، وتلك مأساة تاريخنا في القديم والحديث ، تتكرر بكل فصولها مع اختلاف

المسارح والأشخاص ، وتصل بنا الى نفس النتائج المرة المحزنة ، ونحن لا نعـي ولا ندرك ولا نتعلـم بـل في كل مـرة يزداد العـدو تمكنًـا منا وقضـاءً علينا ، ونحن سادرون في غينا وسذاجتنا .

ومن حـق المرء أن يتساءل متـى يجد هؤلاء وقتًـا للتعمير والرخـاء ؟ متي يجدون فسحة للنهضة العمرانية والتقدم الفكري والثقافي ؟ متى تزدهر الحياة ويثمر الـزرع في ظل ظروف كظروف حيـاتهم ؟ متى ينشرون الأمان والاطمئنان ويـرتفع الظلـم ويشيع العـدل والإنصاف الـذي يتحدثـون عنه دائماً ؟ ألم يـأمرهـم ربهم أن تكـون أمتهم واحـدة ودينهـم واحد وقبلتهـم واحدة ؟ ألم يطالبوا بمـلازمة الأمر بالمعروف والنهى عـن المنكر ، فهل ما يفعلون هو المعروف الذي ندبهم له الشرع أم المنكر الذي نهاهم عنه ؟ !

ـ انتقال ملك اليعاربة الى أحمد بن سعيد :

نُقل العجم الى «بركـاء»وأكرمهم أحمد بن سعيد غايـة الكرم ، وفجأة نادى المنادي : «ألا من له في العجم وتر وثأر فليأخذه» فتكاثر الناس عليهم من كـل جانب حتـى لم يبق منهم إلا مـائتا رجـل طلبوا الأمان بعـد مقتل أكابرهـم ، وقد أمر أحمد ابن سعيد أهـل سفن بركاء أن يحملـوهـم الى بندر العباس ، وفي موضع هناك أحرقوا سفنهم فهلك العجم كافة غرقاً ، ورجع أهل بركاء ، الذيـن كانوا قد غادروها بسبب الأعاجـم الى بلدهـم ، ومضى أحمد بن سعيد الى الرستاق ثم الى سمايـل ثم الى أزكي ثم الى نزوى وبهلا ، فسلمت له جميعـاً ، كما سلمت له سمد الشان ، وبهذا انتقل ملـك اليعاربة الى أحمد بن سعيد البوسعيدى ، وكان ذلك سنة١١٥٤هـ .

البـــاب الثـــالث
الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد البوسعيدي الأزدي العماني وكنيته أبو هلال

نقل مـؤلف الكتـاب عَن المشايـخ المسنين أنه لما آل أمـر عمان كله الى أحمد بن سعيد، اجتمع أكابرها وأكابر الرستاق، واتفقوا على عقد الإمامة له، وهنا ينتهز ابن رزيق الفرصة فيـذكر شيئاً من أسراره قبل أن تنتهى اليه الإمامة، وشيئاً عن إكرامه لأسرة المؤلف، وشيئاً عن عدله وإنصافه وكرمه وتواضعه ولين جانبـه مع الفقراء والمساكين، وهنا أيضًا يلـوم بعض الناس المؤلف، لمـا ذكره مـن كريم أخلاق الإمام، فيرد عليهم متحـدثًا بإسـهاب عن مكارم الأخلاق بصفة عامة مستدلاً بآيات من القرآن الكريم، وبعض قصص وأحـاديث رسول الله ﷺ ، ويـذكر شيئاً من سيرة أبي بكـر وعمر رضي اللـه عنهما في هذا الصـدد، وبعـض أدعية زيـن العـابـدين على ابـن الحسين بن على ، وبعض الشعـر، ثم يذكر طـرفاً من سيرة معاويـة بن أبي سفيان اعتماداً على مروج الذهب للمسعودى، يعود بعـد ذلك فيؤكد توافر هذه الأخلاق في أحمد بن سعيد، ويذكر طـرفاً من سيرته، وتنظيمه للدولة وتوليته الـولاة بعد مبايعته، ويختم بذكـر مَنْ قصده من أشعر أهـل زمانه، وبعض القصائد التي دبجت في مدحه .

ويعود مرة أخرى بعد ذلك كلـه الى التنازع والتخاصم فيقرر اغتياظ النزارية من المكـانة والمنزلة التي وصل اليها أحمد بـن سعيد، لانتظام سلك عمان لـه، ولـذلك مضـوا الى بلعـرب بـن حمير اليعـربى ببلـدة البـزيلى في الظاهـرة، ولاموه على تـركه هـذا الأمر، وحـرضوه على طلـب الإمامـة، ووعدوه أن يـزودوه بالـرجال والمال، فطلب إمهـاله بعـض الوقـت، لكن هؤلاء واصلوا تحريضهـم حتى وقعت بين الإمام أحمد بـن سعيد وبين أهل

الصير ملحمة عظيمة بالبثنة، فقد حشد أهل الصير خلقاً كثيراً وأرادوا الهجوم على صحار، فقابلهم الإمام بالمكان المذكور، وقتل من الفريقين خلق كثير، وهرب الإمام أحمد بن سعيد وانتشر بعمان أنه قد قتل.

عندئذ مضى أكابر اليعاقيب وبني غافر وبني نعيم وقتب الى بلعرب وطلبوا منه اغتنام الفرصة ووعدوه أن يكونوا معه بالمال والرجال. فأجابهم لذلك واجتمع معه خلق كثير وصلوا عشرين ألفاً، وكاتب مناطق مختلفة، وزلزلت عمان واشتد خوف أهلها .

كل ذلك وأحمد بن سعيد مختف عند عجوز كانت توافيه بكل التفاصيل، ولما أعلمته بادعاء بلعرب الإمامة وانقياد النزارية له وأنه مضى الى عمان وعسكر بفرق نزوى، توجه أحمد بن سعيد راجلاً نحو صحار وكتب الى عبد الله بن محمد البوسعيدى واليه على سمد الشان وطلب منه أن يحشد له الهناوية وجعلان وبديّه وأن يأتيه بهم الى فرق، ووصله رجال من ينقل والظواهر يريدون وادى سمائل، كما حشد الكثيرين من أعراب الباطنة، وتمكن من التغلب على المقاومات التي صادفته في الطريق، ولما وصل الى «فرق» التقى بعبد الله بن محمد البوسعيدى -واليه على سمد الشان وغيرها- ومعه خلق تفوق الحصر، وكان بلعرب ابن حمير معسكراً بنفس المكان يومئذ ، فوقعت حرب شديدة قتل فيها بلعرب وقادته ومعظم من معه، وبذلك دانت كل عمان للإمام أحمد بن سعيد ومابقي له فيها عدو.

هنا يرجع بنا المؤلف مرة أخرى الى العجم، فيثبت أنهم حاصروا البصرة سنة ١١٧٠هـ وهزموا أهلها وامتد نفوذهم الى بغداد، وأقاموا سلسلة حديدية على الشط، وتلقى أحمد بن سعيد طلبات نجدة من أهل البصرة، فجهز الإمام عشرة مراكب كبار من مراكب السلطنة، ومن الخشب الصغار كثيرا ، فكان عدد قومه الذين بعثهم لحرب العجم عشرة آلاف، وتمكن أسطوله من قطع السلسلة على شط البصرة، ووضع السيف

في العجم حتى تم إخراجهم من البصرة التي استقر سكانها بها، ثم عادت السفن الى مسقط، وعلم بذلك ملك الروم، فسره ما صنع الإمام وأمر بدفع الخراج له. كذلك تمكن الإمام من القضاء على بعض العصابات التي قطعت الطريق الى منجرور - إحدي مقاطعات الهند - وعاد الأرز الى مسقط بعد أن كان قد قطع عنها، وتلقى الإمام هدايا كثيرة بسبب نجاح هذه العملية.

وكان الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدى قد تعاهد مع محمد بن سليمان ابن محمد بن عدي اليعربي والي نخل ألا يخون أحدهما صاحبه، لكن الذي حدث عكس ذلك، هنا يتحدث ابن رزيق عن الباعث على ذلك اعتماداً على ما رواه شهود عيان من أهل العصر، يقول: جعل محمد بن سليمان، سيف بن سلطان - من أولاد مرشد - نائباً عنه إذا غادر نخلاً، وكان ولدا الإمام أحمد بن سعيد سيف وسلطان مستنكفين عن طاعة والدهما، وأرادا الاستيلاء على حصن بركاء، ولذلك بعثا الى سيف بن سلطان اليعربى - أثناء غياب والي نخل - يطلبان مائة رجل، فبعث بهم، دون موافقة محمد ابن سليمان، وبهم تسورا حصن بركاء واستوليا عليه.

كان الإمام أحمد بن سعيد يومئذ بالرستاق، ومنها توجه الى الحصن المذكور ودكه دكاً ثم سعى قضاة الرستاق حتى تم الصلح بين الإمام وولديه وعفا عنهما، وأسر في نفسه حرب محمد بن سليمان ظناً أنه نكث العهد، والواقع أن محمداً هذا لم يعلم ولم يرض بما فعله نائبه سيف بن سلطان، بل إنه لما علم بخروج أهل نخل لذلك، جعل يعنف سيف ويلومه، ولما رجع الإمام الى الرستاق أخذ يكتب اليه ويشرح حقيقة الحال فلم يقبل الإمام اعتذاره، وبعث الى السند فأتاه رجال من الزدجال، وحشد أقواماً كثيرة من الرستاق وأهل عمان جميعاً، ومضى الى نخل يضرب حصنها بمدافعه، دون أن يَرْضي شيوخ المعاول بما يفعله ثقة منهم ببراءة محمد بن سليمان، ولذلك خرجوا بأقوامهم، ولم يبق من جند الإمام

إلا الزدجال الـذين خربوا النخـل والشجر بمنطقة نخل، وقـد تمكن محمد ابن سليمان من الإحاطـة بأهل الرستاق والزدجال، فطلبـوا الأمان فأجابهم لما أرادوا ، ثم وقـع أخيراً صلح بين أحمد ومحمـد بن سليمان وتعـاهدا على عـدم الخيانـة، كما وقع الصلـح بين الإمام وبين أهـل الحزم، وعفا الإمـام عمن كان قد خرج أو أساء اليه أثناء هذه الفتنة.

ومرة أخـرى عصى ابنـا الإمام والـدهما، فتوجهـا الى مسقط حيـث استولى سيف على الحصـن الشرقي وسلطان على الحصن الغـربي، وأخرجا من فيهما، ولكنهما وجدا مـواجهة من تجار وأكابر مسقـط، ولما علم أبوهما توجـه الى مسقط وأراد ضربها بالمدافـع بيد أنه قبل وسـاطة قضاة الـرستاق وتم الصلـح بين الطرفين، ثم تجدد الصلـح بعد سنـة على أن يترك والدهما الحصن الشرقي، وبعد سنة أخرى قـام الولدان بتقييد أخ لهما اسمه سعيد، وحملاه الى الحصن المذكور، وعلم الـوالد بذلك فحشد من الـرستاق خلقاً كثيراً وكتب لولديه يطلب إطلاق أخيهما فلم يستجيبا . عندئذ أمر بضرب الحصن من البر ومن البحـر، واشتدت الحرب، بينما المدد -زاداً وسلاحاً- يتوالى على سيف وسلطـان من بلدى طيوي وصور، وطـالت الحرب حتى اضطـر أهل مسقـط الى تركهـا واضطـر سيف وسلطـان الى إرسال بعـض رجالهما ليحشـدوا لهم من جلفار خلقاً كثيراً، فلما وافـوا الرستاق زلزلـوها بشدة، وأثنـاء ذلك كلـه تمكن خـادم للإمـام أحمد بن سعيـد من التحـايل وأطلق سراح ابن الإمام المأسور وحمله الى والده.

علم بذلك سيف وسلطان، فشددا الحرب، وطلب أبوهما أن يخرجا من الحصن بأمان فرفضا، ثـم وافقا على الصلح بعد أن شعرا بالخطر يحدق بهما من كل جانب، ورجع الوالد الى الرستاق وعاد ولداه الى حصن نعمان بعد أن ردا أمانات كانت عندهما لأهلها ، ثم يذكر المؤلف نقلاً عن الشيخ خميس بـن سالم الهاشمـى زيارة الأخير لسيف بـن الإمام أحمد أثنـاء احتدام الأزمة وكيف أكرمه وأحسن استقباله برغم ظروفه .

يفـرغ صاحـب الكتـاب من ذلـك لينتقـل الى روايـة أحداث «وقعـة الغبى» بين الإمـام وناصر بن محمد بـن ناصر الغافـرى، وسببها أن الأخير كان مـن دهاة العرب وأثـريائهم، وكان الإمـام سلطان بن سيـف قد ولاه جزيرة البحرين بعدما استردهـا من العجم، ولما مات سلطان هجم العجم على البحـرين، ووقعـت حـرب بينهم وبين نـاصر استمـرت زمنـاً طويـلاً ورفض نـاصر التسليم لهم، ثم اضطـر بسبب شدة الحصـار وانعدام المعين من اليعاربة الى تسليـم قلعة «عرادا» لهم ومنحوه ما شاء مـن ذهب ومال، ثم ترك البحـرين وأتى الى عمان فوصل الى الغبـى حيث عينه أكابـر نزارية الظاهرة رئيسـاً عليهم، وطلب بناء بيـت في العينين -قرية بالظـاهرة- على منبع أحد أنهارهـا فرفضوا، فسكت حتـى انقرضت دولة اليعـاربة وأصبح زمام الأمـور بيد أحمد بـن سعيد بلا منـازع، وقد صاهـر الإمام نـاصر بن محمد وامتزجا امتزاجاً كلياً .

لما رأى ناصر إقبـال الإمام عليه، حـرضه على قبض حصـن الغبى، وطلب إرسال وال ليسلمه له، فأرسـل الإمام محمد بن عمير تسلم الحصن من نـاصر الذي أخّـذ يوغـر صدر الإمـام على قادة الظـاهرة حتـى ضعفوا وسمحوا له ببناء البيت الذي كان يـريد، فلما تم له ما أراد، حرض الإمام ضد القادة حتى حبسهم، وأثناء رجوعه من عند الإمام أخذ يحدث من مرّ بهم عن عزم الإمام على قتلهم وحربهم وطالبهم بالاستعداد وشن الغارات على الإمام ووعدهم بـإمدادهم بما يطلبون من مال وعتـاد ورجال، ونجح في حشـد أقوام في العينيين طلبـوا مـن والى الإمـام تسليم حصنهـا اليهـم، فسلمه، إذ لم تكن له طاقة بحربهم، ثم ذهب وأخبر الإمام .

عندئذ أمر الإمام ببعض الأعمال التخريبية ضد مواطن أعدائه وأرسل الى قبائل عمان والشرقية وجعـلان وأمراء البلوش وأهل مكـران والزدجال حتى اجتمع معه جيش عظيم من نزوى شرقاً الى جعلان، أعراباً وحضراً، يمانية ، ونزاريـة ، مضى بهم من صحار الى ينقل، والتقـى الجمعان بسيح

الطيب، فانكشف جيش الإمام ومات أكثره عطشاً وبعداً عن الطريق، فقد كان الجو شديد الحرارة، واضطر الإمام أن يمضى هو وابنه هلال لاثالث لهما الى نزوى، أما ناصر بن محمد فقد أمر برفع السيف وأكرم أعداءه ثم اصطلح الرجلان: الإمام وناصر بن محمّد وتعاهدا ألا يخون أحدهما صاحبه، وهذا ما حدث فعلاً .

ينهي المؤلف حديثه الطويل عن الإمام أحمد بن سعيد بذكر بعض ما يدل على كرمه وما يتمتع به من خلق حميد، ويذكر أن وفاته كانت بالرستاق سنة ١١٨٨هـ وقبره بها .

ـ الإمام سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد البوسعيدي :

أصيب هلال - الابن الأكبر للإمام - بمرض في عينيه وذهب يطلب العلاج في الهند فمات هناك، وآلت الإمامة لذلك الى الإمام سعيد، وكان شجاعاً فصيحاً مميزاً لجيد الشعر من غثه، ناظماً له، وقد خلصت له حصون عمان قاطبة إلاحصون الحزم ونخل وجبرين، وقد سكن الرستاق كما فعل أبوه وأظهر العدل بين الرعية، وقام ببعض الغزوات وهابه أهل عمان هيبة عظيمة.

وقد تحدث الناس عنه بعد فترة وشكوا من سوء سيرته وأنه أراد أن يعيد ما فعله عندما كان والياً على نزوى في أيام والده، لقد أراد آنئذ أن يحتكر صناعة صباغة النسيج فشكاه الناس والعلماء الى والده الذي عزله عن الولاية .

بعد ذلك يرجع بالحديث الى الإمام سعيد وكيف أهمل رعيته وكان سيء السيرة فيهم، وكرهه أهل عمان، وتشاوروا في عقد الإمامة لأخيه قيس بن الإمام أحمد بن سعيد، وتوجهوا الى الرستاق ولكن جمعهم تفرق، وفي العام الثانى توجهوا الى نخل وتكرر معهم نفس الشيء .

رأى حمد بن سعيد -وكان من دهاة العرب- سوء سيرة والده وكراهية الناس له وإصراره على مخالفة أوامر الدين، فرغب في نقل الإمامة

اليه بحيلـة، وأخذ يتقرب الى أهـل عمان حتى أحبـوه حباً شديـداً، وكلمه بعض النـاس في أن يكون أمـر الإمامة لـه، فكان يبـدي تمنعاً ويكـرم من يحدثه في ذلك .

ظل حمد ينتظـر الفرصة حتـى وقعت الحرب بين أهل اليمـن والنزار أهل أزكـي عندئذ أشـار على والده بـالتوجـه اليهم لإطفـاء الثائرة بينهـم، فمضى الأب اليهـم ونجح في تحقيـق الصلح بينهـم، وعندمـا أراد الوالـد الانصراف، قال لـه حمد: لقد علمنـا بما وقع في أزكـي ، فما خبر مسقط؟ وأخذ يشككـه في نوايا وسلـوك والي الحصن الشرقي ووالي الحصـن الغربي بها، وطلب أن يختبر إخلاصهما عند طريق مطالبتهما ببعض الدراهم والأرز الـذي يكفي لمن معـه من الخلـق العظيـم، وكتب حمد الى الـوالي محمد بـن خلفان يحثه على عدم استجابة طلب والده، فعنده ما يكفي ويريد أن يهجم عليـك، وحرض حمد الـوالى حتى ألقـى القبـض على ابن لـلإمام وقيـده، وجعل هذا الوالى يجمع الحشود الذين عسكر بهم في «سيح الحرمل» ووصل حمد ووالـده الى «روي» ، وذهب حمد فتمكـن من إطـلاق سراح أخيه ثـم رجعوا الى الرستاق ورجع محمد بـن خلفان الوالى الى مسقط، ومضى حمد في حيلته فطلـب من والده أن يترك له معـاقل مسقط والمطـرح إذا خلصها بغير حرب وأن يضيف اليهـا ما ملكت يمينه إلا حصن الـرستاق، ووعده الطاعة والامتثال، فاستجاب الوالد .

وذهـب حمد الى مسقـط وتمكـن بحيلة وببـذل بعـض المال وفي ليلـة واحدة من السيطرة على الحصنين: الشرقى والغربى ويئس محمد بن خلفان من مسقط وقعد في بيته . وعزل عن الولاية وتعهد الجميع بعدم الخيانة .

ـ الإمام حمد بن سعيد البوسعيدي :

لما أخذ «حمد» مسقط من محمد بن خلفـان وسلم له أبوه كل حصون عمان، أتته القبائل فأحسن اليها وهابتـه، وقرب اليه أهل العلم ورزقه الله النصر، وجعل مسقط عاصمة له .

وقد أعـان حمد المعاول بالمال والرجـال أثناء حربهم لأهل نخـل، ثم أصلح بين الطائفتين وتاب عما كان منه ضد أهل نخل، وخلصت الصحبة بينه وبين مهنا بن محمد بن سليمان اليعربى والي نخل حتى توفي حمد .

ومن آثار «حمد» أنـه بنى بالحصن الغربـى برجاً يقابـل المكلا بمسقط وزوده بـالمدافع الكبيرة، وبنـى قلعـة بقريـة روي، وبنـى أخرى مثلثـة في حصن بـركاء، وزودها بـأكبر المدافع، وأمـر بصنع فلك في زنجبـار سمي «الرحمانى» اشتهر بعظمته ودقة صنعه، وأخذ الجزية من أهل الذمة، وعين بعض المشايخ للكتابة بين المسلمين والقضـاء وفقاً للأحكام الشرعية في كل من أزكي ومسقط، وكان غاية في الكرم والإحسان الى العلماء حتى أنه بنى لبعضهم بيوتـاً وزودها بكل ما تحتـاج اليه، ولما بنى للشيخ سـالم بن محمد الدرمكـي الأزدي بيتاً انطلـق لسانه، وهـو الأديب الشـاعر، بقصيـدة ثناء ومدح أثبتها مؤلف «الفتح المبين» .

ونرجع من جديد الى أخبار الحرب والقتال، فقد استوحش سيف بن الإمـام أحمد - عم الإمـام - من حمد، بسبـب نمـو هيبة وسطـوة الأخير، لذلـك مضى سيف الى «لامـوه» من أرض الـزنج في شرق أفريقيـة، فتبعه حمد، فلما بلغ «لامـوه» وجده ميتاً، فـرجع حمد الى عمان، ووقعت منـافرة بينه وبين عمه سلطان بسبب ذلك، وقد ألف الأخير النزارية - أهل وادي سمايل - فعـاهدوه على حرب كل عـدو له، فهجم بهم على حصـن سمايل فخرجوا منه، واشتدت العداوة بين سلطان وبني جابر من ناحية وحمد من ناحية أخـرى، ورغم أنه استعد لحربهم إلا أنه استجـاب لمن نصحوه بعدم الحرب، ومضى عائداً الى مسقـط ومنها الى الرستاق ، ليـزور أباه سعيداً، علـم سلطان بـأن حمد في الـرستاق، فقـام بغـزو مطـرح ونهبها، فلما بلـغ الصريخ مسقط، جمع الـوالي عليها من قبل حمد خلقـاً كثيراً، التقى بهم مع جيش لسلطان عند آخر العقبة المشرفة على دار سيت والفلج فانهزم الوالى، وتوجّـه سلطان بمن معـه الى سمايل، وضاق حمد بسلطـان، ووقعت بينهما

هدنة وأمسك كل منهما عن حرب صاحبه .

بعد ذلك غـزا حمد وادي السحتن وهدم ما بـه من بروج، ثم تـوجه الى بركاء ومنها الى نـزوى حيث أخذ يجمع عساكر مـن الشرقية والأعراب من أزكي وغيرها، واتفق مـع بني كلبان سراً على مهاجمة بهلا، وبها راشد ابن مالك العبرى -عدو بني كلبان- الـذي حارب بشجاعة وقتل الكثيرين من أعدائه رغم قلـة من معه ثم قتل بعد أن هجـم على حمد ومن معه سبع مرات، ثم عاد «حمد» الى مسقط .

وكان كـل من سلطان وحمد يشعـر بعظمة وقـوة الآخر ويثنـي عليه، وقـد أخبر أحـد الملازمين لحمـد، المؤلف أن آمـال حمد كـانـت تنحصر في الاستيلاء على حصن ممباسة القوى وعلى بلدة ممبـاي (بومباي بالهند) ثم ما مع عمه سلطان، ولكنه كان يخشى عمه ويعمل له ألف حساب .

وقد أكثـر آل وهيبة من تحريـض سلطان على حمد مـؤكدين أنـه ليس كفئًا وأنه لايليق به أن يترك الحكم بيـده وعنده المقدرة على نزعه، وأخذوا يراقبـون تحركات حمد وانتقالاتـه من «بركاء» يـريد «مسقط» حتـى بات في القلعة التي بناها من روى ودخل في أثره سلطان وآل وهيبة، ولما علم حمد بوجـودهم، طلب مقـابلة سلطان بغير سلاح وقـال له : ياعـم إني لأعلم بالذي عزمت عليه ومن أغراك به، فإنك لاتجد فيّ فرصة كهذه، فاقض ما أنت قاض، فأكـد له عمه أنه ما أتى إلا لخير، وطلـب منه أن يحسن الظن به، وبعد أن تحادثا طويلاً رجع سلطان الى سمايل ومضى حمد الى مسقط .

وقد واجهت عمان حالة جدب وقلت ميـاهها وغلت أسعارها ومات نخلها وشجرها، ثـم عمت المياه الأودية وكثر الخير بفضل الـدعاء وصلاة الاستسقاء .

وكان «حمد» قد جمع جيشاً كبيراً بعـد إدراكه الملك بثلاث سنين، ولم يخبر أحداً بمـراده، فظن البعض أنـه يريد صحـار، وتوهم أهـل الحزم أنه يريد حربهم، وظن آخرون أنه يريـد محاربة ممباسة وقال آخرون : بل يبغي

إخراج أبيه من حصن الرستاق، ولما أراد أن يمضى من مسقط الى «بركاء» اشتكى من الحمى عند سيح الحرمل فرجع الى مسقط حيث ظهر بجسده جدرى كثير، فكتب الى أبيه أن يحضر الى مسقط، فوجد الوالد ابنه في ألم شديد بسبب الجدرى ، ثم مات سنة ١٢٠٦هـ ودفن بمسقط ورثاه شعراء عصره بمرثيات كثيرة .

وقد عين والده الولاة على البلدان ثم مضى الى الرستاق مهملاً الملك والرعية، ولهذا انتقلت مملكته الى سلطان .

ـ السيد سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد البوسعيدي :

كان شجاعاً طويلاً لايعبأ بكثرة الأعداء منصفاً للمظلوم، لما مات «حمد» وفد سلطان على «على بن هلال بن الإمام أحمد» في بركاء - وكان الأخير والياً عليها - وطلب منه أن يعمل على الصلح بينه وبين أخيه سعيد «فقد كانت الإحن الماضية بسبب حمد، وحمد توفاه الله» ووعده بحرب كل من عصى أخاه من أهل عمان، وظل به حتى توجه الى الرستاق لإنجاز هذه المهمة، وبدأ يراقبه، فلما علم أنه أخذ طريقه، توجه سلطان الى حصن بركاء واستولى عليه وأنزل من كان بالقلعة بالأمان، ثم جمع جنداً كثيراً ذهب بهم الى مسقط. علم بذلك كله على بن هلال وسعيد، فطلب سعيد من على أن يأخذ سفينته من المصنعة وأن يتوجه الى مسقط، وأن يساعد ولده أحمد بها وحذره من الجبن، لأنه من شيم اللئام.

وصل على الى «مسقط» في نفس يوم وصول سلطان الى القرم، وكتب الأخير الى تجار وأكابر مسقط بالأمان على أنفسهم وأموالهم، وأدرك التجار والأكابر أن البلد ستسقط في أيدي سلطان، إذ ليس مع أحمد وعلى عساكر يجالدون بهم، وجاء سلطان بالفعل واستقبله الأكابر -وفيهم والد المؤلف- وأعلنوا سرورهم بأمانه الذي منحه لهم، وبعد استراحة قصيرة أمر سلطان بالهجوم على الباب الكبير ثم دخل من الباب الصغير الشرقى منها، ثم هجم على الجزيرة وواصل هجومه حتى سقطت كل معاقل

مسقط واستقبله التجار بالجزيرة وخلصت له المراكب والصيرتان.

وبعد مناوشات تم الصلح بين سلطان وأخيه سعيد على أن يكون الحصن الشرقى لسعيد، والغربى يقبضه محمد بن خلفان بن محمد الوكيل بينهما، فإن نقض أحدهما الصلح ، يقبضه الثاني منهما ، ولقيس ابن الإمام حصن المطرح وسائر بروجها ، ومحصول مسقط بيد سلطان ينفق منه على العسكر والحصن الشرقى ، وهدأ الناس واستقرت الأمور. لكن أنى يدوم الاستقرار في مثل هذه المجتمعات القبلية؟! لقد استولى سلطان على الحصن الشرقى من مسقط عنوة، وكتب الى قيس بذلك، وبقي محمد بن خلفان واليا للسلطان ظاهراً، والواقع أن كلاً منهما يريد ما في يد صاحبه، وقد أخذ محمد يجهز حصنه بالمعدات ويستقدم المناصرين، واشترى من العبيد الزنوج والنوبان جملة وأكرمهم بالثياب الفاخرة وسلحهم بالسيوف والخناجر .

ثم بعث سلطان رسولاً الى والد مؤلف الكتاب، وطلب منه أن يأمر العمال بهدم كل ما بناه محمد بن خلفان بمسقط، وعلى أصحاب السفن أن يضربوا الحصن الغربى بالمدافع حتى يهدموه، لكن والد المؤلف نجح في صرف سلطان عن هذه الفكرة مؤكداً أن المبانى ملك لبيت المال وليس من المصلحة تخريبها، ثم نجح في انتزاع موافقة محمد بن خلفان على تسليم الحصن لسلطان، فتسلم سلطان الحصن بعد ممانعة القابضين عليه في تسليمه، وتم ذلك بوساطة بعض المشايخ، وتم كذلك تحرير حصن المطرح، ثم أمر سلطان ببناء معاقل ثلاثة على الجبال فبنيت في ستة أشهر .

جعل محمد بن خلفان يكاتب قيس بن الإمام يحرضه على حرب سلطان، وتعاهد الرجلان مع سعيد بن الإمام على ذلك، وجمع قيس خلقاً كثيراً من الظاهرة والباطنة بينهم من يسمون العفار، وانضم اليه سعيد بمن معه، علم سلطان فأرسل الى أهل عمان والشرقية وبدية وجعلان وغيرها ليأتوه بكل من يحمل السلاح، فلم يصل اليه إلا الشيخ ماجد بن سعيد

البرواني ومعه من الحرث مائة رجل ، ولم يكـن أمامه إلا الحيلة، ولهذا أمر بنصب مشاعل النـار إذا أقبل الليل مـن أول جبال «روي» الى آخـر جبال «دارسيت»، ليوهم أن معه أعداداً ضخمة، ثم بعث الى أخيه قيس يقول: إذا وصلك كتابى، امض الى «بدبد» لأخلص لك حصنها وحصن سمايل، وذر حرب مسقط، فنفذ قيس ما رآه سلطان، بينما مضى سلطان نفسه الى سمايل، وأمر مـن في حصن «بدبد» أن يضربـوا قيس وسعيد بالمدافـع حتى أيقن كلاهما أنـه لن يحصل على شيء فتوجه قيس الى صحـار ومضى سعيد الى الرستاق، وفي النفوس ما فيها.

وقد قام سلطان ببعض الأفعال المنكـرة مثل الأمر بقتل بعض أعدائه جوعاً وعطشاً ثم الإلقاء بهم في البحر .

وغزا سلطان شهبـار مكران كما غزا القسم وهرمـوز (هرمز) وزادت هيبته ، ثم غـزا جزيرة البحرين وجعـل أحد أبنائه والياً عليها يعـاونه أحد الشيعة، وكان هذا سبباً في خروج العتوب عليه، لما بينهما وبين الشيعة من المنـافـرة، وصارت البحـرين في يـد العتـوب مرة أخـرى، وهجمـوا على البحـارنة واستولوا على أموالهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وهتكوا حرمهم .

دلف بنـو نعيم الى صحـار وقتلوا منها خلقـاً كثيراً، فاستنجـد قيس بأخيه سلطان الـذي خف اليه بحشود كثيرة، وتعاهد الـرجلان على حرب بني نعيم ومن انضـم اليهم من بني قتب ومن أهـل دبا وغيرهم، ووقعت ملحمـة عظيمة وكـان النصر فيها لقيـس وسلطـان، وبعد معـارك جانبيـة أطرافها بنو نعيم والظواهر وآل وهيبـة، وبعد أن أغار سلطان على دبا عن طريق البحر، شرع في بنيان حصن الفليج واتخذه مقراً أسكنه بعض حرمه، وهنا يتحدث المؤلف عن ولاة سلطان على مختلف البلاد.

وقد حدث تطور جوهرى في هذه الآونـة فقد تلقى حكام عمان كتاباً من عبـد العزيز الوهـابي يدعوهم الى الـدخول في طاعته، ويصـف المؤلف كتاب الوهابية المسمي «كشف الشبهات» هذا بأنه ملفق ويقرر أنه لم يعبأ به

أحد، لقد أرسل عبد العزيز الى عمان عبده النوبى المسمى الحريق على رأس ٧٠٠ فارس نجح في حرب بعض القبائل حتى أطاعته، وحالفت العتوب (قبيلة في شبه الجزيرة العربية) عبد العزيز وتحولت الى المذهب الوهابي وجعلت تأخذ كل سفينة غصباً .

ووقعت منافرة بين سلطان بن الإمام وحميد بن ناصر الغافرى، بسبب إرث أخت حميد زوجة سلطان، وتمكن سلطان من الاستعانة ببعض النحاسين حتى كسر مدفعاً مهما لحمد كان أمام حصن يبرين - جبرين - ، وحدثت حروب وغارات وتفاقم القتل.

واتفق يومًا أن توجه سلطان للحج، وانتهز بدر بن سيف بن الإمام أحمد الفرصة فتوجه الى مسقط، وتعاهد هو وماجد بن خلفان بن محمد الوكيل على أخذ حصنها الشرقى لكن العبد المسمي «كومبو» الذي تركه سلطان أميراً، رفض تسليم الحصن، واضطر بدر أن ينسحب حتى وصل الى عجمان ومنها الى الدرعية في المملكة السعودية حيث حالف عبد العزيز إمام الوهابية وأقام معه، ولما رجع سلطان من الحج قيد ماجد ثم عفا عنه وآلمه لجوء بدر الى الدرعية .

أغار بعض الظاهرة ممن مالوا للمذهب الوهابي ومعهم فرسان من نجد على أطراف السويق من مدن الباطنة ، فطلب سلطان من آل وهيبة أن يدركوا الغازين فعرفوا أنهم دخلوا وادي الحيملي فأدركوهم، وتوالى عليهم ضرب البنادق من القابعين فوق رءوس الجبال وانتصرت الوهابية، وقتل قائد جند سلطان ومعظم رجاله، وسيطر عليه الحزن والضيق وانتقل الى الفليج وأشير عليه بمكاتبة أكابر عمان عامة وأكابر بني سعيد خاصة، فوفد هؤلاء مع المشايخ الى حصن بركاء، وعرض سلطان عليهم الموقف، فتكلم الجميع مؤكدين استعدادهم ومقدرتهم على محاربة الوهابيين، فالجبن ليس من شيم الكرام، وأثناء النقاش جاء رسول من قيس الى أخيه سلطان يخبره أن الحريق - قائد الوهابيين - قدم الى صحار وأنه مقيم بالعوهىّ منها

ويطلب قيس النجدة، فطلب سلطان من الحاضرين أن يذهبوا ويأتوه بالرجال والموعد بينهم هو الخابورة. ثم مضى هو ومحمد وماجد ابنا خلفان الى مسقط وعسكر بالخابورة، وجهز مركبه المسمى الفلك وطرح أناجره في البحر وأتاه خلق من كل مكان في عمان، كل هذا والوهابى معسكر في العوهى من صحار لايشعر بما حوله ولايعرف بمكاتبات قيس لسلطان، ووصله الخبر أخيراً فأحرق خيامه من الذعر، ثم رجع الى البريمى ومنها الى نجد .

ولما علم العتوب برجوع الحريق الوهابى صالحوا سلطان، كما اصطلح حميد بن ناصر الغافري وسلطان أيضاً وركدت الفتن .

وبالجملة فأخبار سلطان جميلة، وحسبه أن البلاد لم تعرف الجدب في أيامه، بل شهدت مسقط سيولاً دامت ستين يوماً.

وتوجه سلطان الى البصرة بنفسه، لأخذ القانون الجارى من أهلها الى حاكم عمان منذ عهد الإمام أحمد بن سعيد، وقد استقبله تجارها وأكابرها وسلموا له القانون المذكور، وأثناء رجوعه من البصرة هبط من مركبه الى سفينة صغيرة تُسمى البدري، ولم يكن معه إلا قليل من العبيد والأحرار وقد لقي - وهو في البحر - ثلاث سفن للشويهيين - من أهل جلفار، ولما عرفوا أن من في السفينة هو سلطان قالوا نحن طلبة سلطان، وتواعد الطرفان على القتال فجراً - وكان الوقت منتصف الليل - وحاول بعض عبيد سلطان تهريبه ولكنه رفض، ودارت معركة تلقى خلالها سلطان رصاصة في فيه قتلته لساعته، ثم نهب الأعداء سفينته، وانتشر الخبر بعد ذلك فزلزلت البلاد وحزن الناس حزناً شديداً، وكان مقتل سلطان سنة ١٢٠٧هـ ورثاه أدباء عمان بقصائد أكثرها مطولات .

بعد ذلك يخصص المؤلف فصلاً قصيراً للحديث عما تركه السادة البوسعيديون من الأولاد الذكور، كل على حدة، ثم يتبع ذلك بفصل عن:

- السيد سالم بن سلطان البوسعيدي :

نمط جديد نصادفه عند الترجمة لتلك الشخصية يخلو من صلصلة السيوف وغبار الحرب وإعداد العساكر وسفك الدماء، يقرر المؤلف أن المملكة بعد وفاة سلطان بن الإمام صارت لولده سعيد بن سلطان وحدثت ألفة بينه وبين أخيه سالم حتى مات الأخير، ويتحدث عن سالم هذا فيقول: إنه كان شديد الإحسان محافظًا على فرائض الدين ونوافله، يحب أهل الورع ويحتفي بأهل النثر والنظم، كثير الابتسامة حريصا على قيام الليل ومدارسة أهل العلم في المساجد، ما خلا مجلسه من عالم أو أديب، يحفظ أشعار العرب ويدرس أخبار الأمم ، ويطيل المسامرة في الأحكام الشرعية والأمور البلاغية والعلمية .

وهو مع ذلك كله يأخذ بالحزم في أمور المملكة ويتفقد أحوال الرعية بنفسه ويؤدب من يستحق بالأدب الشرعى، لذلك أحبه أهل الصلاح ومقته أهل الفساد والنفاق، يذكر صاحب الكتاب أنه حضر مجلسه مرة مع جملة من المشايخ حيث دار الحديث حول الوهابية وما قاموا به من استحلال دماء المخالفين، فطلب سالم منهم التوجه الى عالم شافعى المذهب مغترب آوى الى بلادهم، وقد أثنى عليه سالم وطلب منه أن يحدثهم عما جرى له على يدي أصحاب عبد العزيز التميمي النجدى الوهابى ذلك الذي تشبه طريقته طريقة نافع بن الأزرق، فتحدث اليهم ذلك العالم مؤكداً أن أمر عبد العزيز غريب حقاً، وحدثهم عن كتاب «كشف الشبهات» لمحمد بن عبد الوهاب، وهو كتاب كله سفسطة، فيه تجويز قتل المخالفين واستحلال أموالهم وسبى ذراريهم ونكاح نسائهم. . وأن هدف مذهبهم هو اكتساب المال باحتيال. ولذلك افتقر أهل الإحساء في ظل حكمهم ، إنهم يعكسون الأدلة ويخالفون شريعة رب العالمين، ويذكر ذلك العالم أنه ترك الأحساء فراراً بدينه بعد لقاء تم بينه ومعه ١٢ عالماً وبين عبد العزيز نفسه ومعه مجموعة من المطاوعة في مدينة الرياض، وقد تمكن صبى

صغير من أهل الإحساء من إفحام أحد المطاوعة، - وكان يقرأ لهم من كتاب كشف الشبهات - بحضور عبد العزيز، وقد أعجب عبد العزيز بطريقة أهل الإحساء في المناقشة وطلب منهم العودة الى بلادهم إن أرادوا، وقرر ذلك العالم أن ظلم الوهابية قد تضاعف على أهل الإحساء فرحلنا عنها وما شعرنا بالأمان إلا في عمان، ثم تحدث الحاضرون عن الخلفاء الأربعة واستنكروا ما يذكره البعض من حذف عثمان رضي الله عنه لنصوص من القرآن تخص علياً كرم الله وجهه .

يعود المؤلف الى سالم فيقرر أنه كان حذراً عند تناول الطعام وعند مناجاة الأصدقاء فضلاً عن الأعداء. ويذكر المؤلف من الأحداث ما يدل على إيمانه بالتصوف الخالص وعلى محبته للصوفية المتجردين .

وهذا كله لايعني أن ذلك الرجل كان لاشأن له بالحروب، على العكس كان صاحب عزيمة ورباطة جأش، لقد قربت سفن أهل جلفار من صخر الصيرة الشرقية، لنهب سفن سعيد خاصة وأهل الهند عامة، وكان أمير جلفار وهابياً أكثر من الوهابية، وكان معه من قومه خمسة آلاف وقد خرج اليهم السيد سعيد وأخوه سالم وكافة آل أبي سعيد القاطنين بمسقط، وكانت حربًا شديدة رجع بعدها السيدان الى مسقط، وجهزا خمسة مراكب عليها ٢٢٠٠ رجل وجرت مواقعة في البحر مرتين، وكانت لاتسمع إلا أصوات الرعد، وفي هذا الموقف العصيب كان المؤلف شاهد عيان وكان سالم يبتسم ويتمثل ببيت أبي الطيب:

فلله وقت ذوب الغش ناره   فلم يبق إلا صارم وضبارم

وانجلت المعركة عن هزيمة الأعداء .

وبالجملة فإن أخبار السيد سالم ومناقبه الحميدة أكثر من أن تحصى وقد مات بداء الفالج سنة ١٢٣٦هـ ودفن بمسقط ورثاه المؤلف بقصائد طوال، ومدحه في أيام حياته بنظم ونثر لايحصى ، ويذكر أنه لولا إحسانه ما تصدى لنظم القريض.

ويختم المؤلـف حديثه عنـه بذكر جملـة من سجايـاه الكريمة ومظـاهر احتفاله بـأصحابه وأهل محبتـه. وحديث صاحـب الكتاب مفعم بالعـاطفة المشبوبة المليئة بالحب والإعجاب الشديد بالمترجم له، يبدو ذلك واضحاً في كل سطر خطه بل وكل كلمة كتبها .



بدر التمام
في سيرة السيد الهمام

سعيد بن سلطان بن أحمد بن سعيد البوسعيدي

اليمني العماني الأزدي

ذكر لمع من بعض سيرة السيد الحميد سعيد بن سلطان ابن الامام أحمد بن سعيد البوسعيدي

ولد سعيد بن سلطان بن أحمد بن سعيد البوسعيدي سنة ١٢٠٦ هـ في بلدة سمايل وتوفي سنة ١٢٧٣هـ عن عمر يصل الى نحو سبع وستين سنة، وقد مات عند انفصاله من مسقط الى زنجبار حيث دفن بها بعد ستة أيام، يقرر ذلك ابن رزيق ثم يذكر لمعًا من سيرته ونبذاً من أفعاله الحميدة.

لقد تولى أمر عمان بعد وفاة أبيه بناء على رأي السيدة بنت الإمام ورضاء أخيه سالم، ويذكر المؤلف بعض ولاته، وبعض أهل الحل والعقد عنده ويقرر بعد ذلك أن السيد محمد بن خلفان الوكيل استوحش من سعيد وخاف من الفتك به بسبب الأمور القديمة التي كانت بينه وبين أبيه سلطان، لذلك ترك مسقط الى «حيل الغاف» - قرية تابعة لولاية قريات - وأخذ يبعث الى قيس بن الإمام يطلب منه الوثوب على مسقط ويعده أن يزوده بكل الزاد والعتاد، فأجابه قيس وفرق كتبه على رعاياه وما شذ عنه من البوسعيديين إلا القليل. علم سعيد بذلك فكتب الى بعض المشايخ والى والي نخل الذي بعث بدوره الى بني ريام والعبريين وكافة نزارية الظاهرة وطلب من الجميع الإسراع الى نجدة أولاد سلطان بن الإمام، ووصل أولاً نزارية وادي سمايل فأمرهم سعيد أن يقيموا بسدّ روي .

ولما اجتمع جيش قيس بصحار أتاه أخوه سعيد بن الإمام في جمع من أهل الرستاق وأخوه محمد في جمع آخر، وعلي بن هلال بن الإمام كذلك وأتته الظواهر حتى كان من معه يزيد على ١٢ ألفاً، ومضى بهؤلاء فسلمت له حصون الخابورة والسيب ثم اقتحموا القرم، ومضى السيد سالم بن سلطان في السفينة «التوكلي» الى بركاء وبعث رسولاً الى والي نخل يستحثه بسرعة الوثوب اليه، ثم ركبا السفينة معاً ومعهما الرجال ومضوا الى مسقط، وأخذوا في ضربها حتى سقطت كل معاقلها ماعدا الحصنين

والصيرتين، ثم مضى الوالي الى صور ثم الى الشرقية ولم يعد الى مسقط إلا بعد انطفاء نار الحرب، ثم تشاور مهنا والي نخل واتفق مع بعض المشايخ على مخاطبة قيس في الصلح، وأن يدفعوا اليه شهرياً ألفي قرش، وما أخذ من الحصون فهو له على أن يترك حرب ابن أخيه، لكن قيس رفض العرض وصمم على الحرب.

وتجددت المناوشات بين الطرفين مرة أخرى ونال كل طرف من الآخر. وكانت ميول السيدة بنت الإمام مع سعيد وسالم ابني الإمام سلطان، وقد بلغ الأمر بأمير حصن المطرح من قبلهم أن قل الماء عنده وانعدم الزاد والعتاد تقريباً، وأحاط قيس به وبحصنه وحاصره بشدة وأخذ يضربه بالبنادق ليلاً ونهاراً وقد تمكن «مهنا» من إرسال نجدة في السفن اليه، ثم توجه نحو المطرح، ولما بلغ الفج المشرف عليه، ترك بعض القناصة على رءوس الجبال المشرفة على المطرح، وانحدر بالباقين، وكان المؤلف واحداً منهم، وكان ذلك في رمضان سنة ١٢١٩هـ، ووقع القتال بين الفريقين، وتمكن جند سعيد ومهنا من توصيل الماء والزاد وأدوات القتال، ثم بعد ذلك ذهب قوم كثيرون من أصحاب قيس الى سيح الحرمل، وانفصل مهنا الى مسقط، وتجدد هجوم مهنا على المطرح في الثامن من شوال وتبادل مع قوم قيس ضرب البنادق من رءوس الجبال ثم رجع كل الى معسكره، وأخيراً رأى محمد بن خلفان الوكيل قوة أولاد سلطان وضعف قيس، فالتقى مع مهنا واتفقا على الصلح .

وبعد الصلح بشهرين قتل مالك بن سيف بن سلطان مهنا في حصنه وشايعه ابن أخيه محمد بن سليمان بن محمد، وتأكد صدق هذا الخبر من مصادر بينها شاهد عيان ذكره للمؤلف، وبلغ قيس بن الإمام قتل مهنا فأمر بشن الغارات على نواحي بوشر وبألا يسمح لسفن أهل بركاء والمصنعة بالوصول الى مسقط، ففعل الوالي -ناصر السمار- من قبل قيس ذلك مع أهل السيب وجمع من الأوباش خلقاً كثيراً مضى بهم الى فنجا، فهجموا على حصن «بدبد» وأخذوه على غرة، وظل الوالي يقطع طريق البر

والبحر حتى استوحش أولاد سلطان من عمهم قيس ومن معه، واتهموه بأنه دبر قتل مالك بن سيف لمهنا بن محمد، لأنه أنصح الناس اليهم.

ولما تفاقمت الغارات من السمار براً وبحراً، أخذ قيس في جمع الجنود وكتب الى أخيه محمد بن الإمام أن يهبط الى سمايل، ليشغل نزارية سمايل عن الوثوب على مسقط، ففعل ومعه خلق كثير، ومضى قيس نفسه الى مسقط وكان سالم بن سلطان هو القابض على السد.

كان سعيد بن سلطان يومئذ بحصن بركاء ولما اقترب قيس من السد بادره من فيه بالحرب، لكن سالم بن سلطان رجع الى مسقط ودخل قيس السد، ثم انحدر بمن معه الى مسقط، وكان محمد بن خلفان الوكيل قد أكمن في بيته بمسقط جملة من الرجال، هجموا على الباب الكبير وفتحوه لقوم قيس من بيت الشيخ محمد بن خلف الشيعي، ونهب كل ما في بيته، كما نهب عسكر قيس سوق مسقط وقتل بعض بني جابر، وأما محمد بن الإمام فقد وصل الى سمايل واشتغل بقطع نخل «ستال»، فهجم عليه نزارية سمايل وقتلوا من جند محمد الكثيرين واضطروهم للعودة الى عمان.

لما استولى قيس على مسقط واجهته أخته بنت الإمام وناشدته الله أن يكف عن الحرب مع أولاد أخيه، فأجابها لما أرادت، لكن كيف تتوقف رحى الحرب، وهناك من يؤجج نارها دائماً؟

لقد جاء سيف بن على بن محمد البوسعيدي الى مسقط يحرض سعيد ابن سلطان وإخوته وبدر بن سيف على حرب قيس، فاستجابوا له، وحدثت مكاتبات لأهل الشمال والظواهر ليصلوا الى مسقط نصرة لأولاد سلطان، وكتب بدر بن سيف الى ابن عبدان الوهابي النجدي وآخرين، فأتى من سائر البلدان التى في طاعته كثيرون يعدون بالألوف. كذلك كتب أولاد سلطان وبنت الإمام الى الشيخ محمد بن ناصر الجبري أن يذهب الى الظاهرة ويستنصر على حرب قيس وأن يقيم في نعمان بقومه إذا وصل الى

بركاء، ففعل وتم إرسال بعض القوات الى مسقط .

ولما اكتمل استعداد سعيد بن سلطان وإخوته وبدر بن سيف، قطعوا الأموال التي كانت قد تقررت في عقد الصلح مع عمهم قيس، فأمر الأخير أصحابه بالهجوم على مسقط، وجرى قتال هنا وهناك، ثم أمر قيس أصحابه بالهجوم على مسقط ، فهبط عليها من نواح مختلفة ولم يقتل من رجاله إلا ستة ووصل الصريخ بدر بن سيف - الوالي على الجزيرة - فأخرج - بعد مشاورات - محمد بن عبدان الوهابي والظواهر والحجريين لقتال عمه قيس، فحدث قتال في المسجد - القتال حتى في المسجد - وقد انهزم أصحاب قيس أولاً، لكن الوهابيين والظواهر ما لبثوا أن انكشفوا بعد هجوم مضاد، وهكذا أصبح للوهابية وجود ظاهر واشتركوا في القتال بصفتهم هذه وفي صورة معلنة .

مضى قيس بعد ذلك يستولى على البلدان حتى صعد جبل السعالي، وانتهى الى ما دون البومة المشرفة على جبل ولجات، والتي يسكنها قوم من البلوش، وقد حال بين قيس وبينها أخدود كان البرتغاليون قد ثبتوه أيام احتلالهم مسقط خوفاً من العرب، ثم أتت نجدة من بني عتبة واشتدت الحرب بينهم وبين قيس بضرب للبنادق استمر أياماً، أما سعيد فقد أتاه الشيخ حميد بن ناصر الغافرى في اثنى عشر ألفًا وعاهده على حرب عمه، فمضى بهم السيد واستولى على حصن السيب بعد قتال، ثم مضى الى فنجا فقطع منها نخلاً كثيراً ثم مضى بالقوم الى بدبد، وفي هذه الظروف تلقى بدر بن سيف من سعيد رسالة تقول: لقد بلغك ما صنعنا، وما بلغنا ما صنعت. فأمر بدر بالهجوم على أهل السد وعلى «عقبة ريام» وأن يكمنوا لأهل برج الدوحة، كما أمر من اجتمع معه من الوهابية وكافة النزارية وبني عتبة بالهجوم على سور اللواتيا، ولما أراد أن يصعد الى عقبة الخيل ليهبط الى المطرح أتاه على بن هلال بن الإمام ومعه الشيخ خميس بن سالم الهاشمي، وعرضا الوساطة في الصلح، وقد نجح الشيخ خميس في إنجاز هذا الصلح على أن يقبض بدر حصن المطرح، ورجع قيس الى صحار على

متن سفينة إنجليزية، وكتب بدر الى سعيد بما تم من صلح مع عمهما فرضي بذلك، وطلب بعض المال، فأرسل اليه: وبذلك اصطلح أولاد سلطان وبدر ومحمد بن خلفان الوكيل .

ثم كانت وحشة بين السيد سعيد وبدر بن سيف، سببها أن بدراً أراد إخراج البلوش أصحاب الملا الحاج من الحصن الغربي، ويترك مكانهم بلوش جمّا، فلم يوافق بنو عمه، ومضى بدر الى بركاء وترك الوهابية في حصنها، ثم إن سالم بن سلطان مر يوماً في طريقه الى مسقط، وأقام قريباً من مسجد ببركاء فلم يستقبله أحد، وطلب بعض الطعام والعلوفة لدوابه، فلم يجبه أحد، فضرب سالم بعض أعوان بدر وزادت الوحشة بين بدر وبين بني عمه أولاد سلطان .

وقد أشار بدر على السيد سعيد بحرب قيس مؤكداً أن الأخير قد اعتدى عليهم بأخذه الخابورة وأنه يدبر لهم المكائد، ورأى أن يأمر مالك ابن سيف بحرب بهلا، لأنها إذا خلصت لهم خلصت لهم قلعة نزوى وعمان كلها، فأجابه سعيد الى ذلك، وتمت محاصرة «بهلا» وكتب بدر الى قبائل نزار الظاهرة ويمنية الشرقية، فأتاه الكثيرون معه وأقاموا معه في بركاء ثم وصل مالك بن سيف الى بدر بناء على طلبه، عندئذ كتب بدر الى حميد بن ناصر أن يلاقيه في الخابورة، ومضى وحده فلما وصل الى الخابورة اجتمع معه أقوام كثيرة عسكر بهم أعلى الحصن، ثم أتاه حميد ونزارية الظاهرة، وطلب منه ألا يحارب عمه، فقد يسلمه الحصن بغير قتال، والواقع أن حميد لم يكن في باطنه يوافق على حرب بدر لقيس، فذلك من شأنه أن يقوي أهل عمان والوهابية، ثم توجه حميد الى قيس مع آخرين وبين له أن بدراً يريد عمان كلها. ثم حدثت بعض المعارك الجانبية بين سيف بن ثابت وبين الشيخ عيسى بن صالح بسبب إحن قديمة، ثم بعث حميد بن ناصر الى بني كلبان ومن كان معه، وطلب منهم أن يرجعوا الى دارهم، إذ لاحاجة لهم الى بدر وحربه ورجع هو الى الظاهرة .

ورجع مالك بن سيف الى نخل ومنها الى بهلا حيث خلص حصنها، ثم منعه محمد بن سليمان من دخول حصن بهلا وقال: لك نخل ولي بهلا أما قيس بن الإمام فقد مضى الى نزوى بعد استئذان حميد بن ناصر، وكان بنزوى حرب فأظهر قيس أنه يريد الصلح بين أطرافها، وعندما أصبح بحذاء «يبرين» -جبرين- قتل بعض قومه ثلاثة من الدروع أصحاب حميد ابن ناصر، فاستغاث أهل يبرين بحميد الذي طلب من أعوانه أن يتقدموه الى نزوى حيث وقعت حرب شديدة جرح فيها قيس، ومضى الى الشرقية ومنها الى صحار، ومضى حميد الى بهلا وحشد أهلها، ولما رجع الى نزوى اشتدت الحرب بينه وبين أعدائه، وكتب محمد ابن الإمام لمن بحصن نزوى وقلعتها أن يخلصوها لسعيد بن سلطان ابن الإمام فتم ذلك، وانقطعت الحرب بين أهل نزوى وبني غافر .

ولما رأى السيد سعيد تقريب بدر للوهابية وللقبائل الشرقية استوحش منه، ودبر مؤامرة لقتله بالتعاون مع محمد بن ناصر الجبري الذي استدرجه حتى خرج بدون أعوانه ثم تم قتله، وعمي الموقف على الوهابية فرجعوا الى البريمي، ومضى سعيد الى مسقط ورجع أهل الشرقية كل الى بلده .

ولما وصل سعيد الى مسقط، جاءه بعض الزعماء اليها وبعثوا يخبرونه بوصولهم فطلب منهم أن يرجع كل الى وطنه، فقد خشي أن يهاجمه من معه من المعسكر لمحبتهم لبدر في الباطن، كما خشي على سمايل أن يهجم عليها يمنية أعراب الشرقية، وكتب سعيد لعمه قيس بهاجرى لبدر، وكان شديد الكراهية له، لميله للوهابية وانحرافه عن مذهب الإباضية، واصطلح قيس وأولاد أخيه سلطان صلحاً صريحاً .

بعد سنة كتب السيد سعيد الى عمه قيس بضرورة حرب سلطان بن صقر القاسمي، لأنه صار عدوا لهما وأفسد البحر عليهما وبنى في فكّان برجا شاهقاً، فأجابه عمه قيس، وذهب الجميع بأعوانهم وأحاطوا بحلة

«فكـان» ودخلوهـا عنوة، فلما علـم سلطان بـن صقر بـذلك، جمع خلقـاً كثيراً، ولما رأى هؤلاء أن جند سعيد وقيس كلهم أهـل بنادق، قالوا له : لاحيلة لنا معهم، ولكن قيس أمر جنده بالهبوط من العقبة، وانتهز عسكر سلطان بن صقر الفرصة وصعدوها وهبطوا منها الى فكّـان، وكانت موقعة حاميـة الوطيس، لم يبق بعـدها مع قيـس إلا بعض العبيد وبقى مـع سعيد بعض آل وهيبة والحجريين، وتكاثر عليهم أصحاب سلطان بن صقر حتى قتلوا محمـد بن خلفـان المحل -وكان هـو الرئيـس على قوم السيـد سعيد- وقتل قيـس وعبيده، وهرب السيـد سعيد في مـركب رجع بـه الى مسقط، وكثر فساد سلطان بـن صقر واستولى على الوهابية وأعـانوه على الإفساد في البر والبحر وتعددت غارات أصحابه على أطراف صحار .

وكثرت الوشـاة بمحمد بن ناصر الجبري عند سعيـد، فكتب يطلب وصوله اليه لمشورة بينهما، فلماجاء اليـه ألقى القبض عليه وقيده، وعلمت السيدة بنت الإمام بذلك، وكانت زوجـة محمد عندها، فطمأنتها بأن محمد لن يقتل، لكن لابـد من تسليمه حصني سمايل وبدبـد، وذهبت فخلصت محمـداً مـن القيــد، واختـار أن يقيـم في الحفـرى بعــد أن رد الأمـانـات لأصحابها، وفي الطريق أناخ ناقته عند الشيخ حميد بن ناصر الذي خيره - بعد ما عـرف منه ماجرى - بين حصـن الغبي أو يبرين أو أزكي، فـاختار أزكي ، وترك فيه خاصته ثم توجه الى الدرعية، فتوجس سعيد منه شراً.

وصـل محمـد بـن نـاصر الى القصيم، ومضـى منهـا الى سعـود بـن عبدالعزيز في الـدرعية، ولما عرفه سعود، أقبل عليه بوجـه جميل وطمأنه، وطلب سعود مـن مطلق المطيري أن يمضى مع محمد بـن ناصر وأن يكون له معاوناً ضد من يحاربه من أهل عمان أو غيرهـم ، فتقدم «مطلق» أولاً الى عمان، ولما وصل الى البريمي حشد أعراب الشمال واستولى بهم على حصن شناص قهراً، ثم رجع محمد الى عمان وطلب من مطلق أن يهبط الى صحار حيث أتاه أعوانه وهبط بخلـق كثير الى صحار، وأخذ السيد سعيد يحارب الوهابية بمن معه من القوم فكان عدد المتحاربين ٣٠ ألفاً، وطالت الحرب

ومضى الوهابية الى «العريق» وقتلوا من فيها، ثم وصلوا الى «أفي» ودارت الحرب بينهم وبين المعاول على قدم وساق .

ثم إن المعاول حالفوا مالك بن سيف تقية، ومضى محمد بن ناصر ومطلق المطيري الى سمايل، وأحاطوا بأهل العلاية وأخرجوهم من حصونهم المنيعة وهدموا كثيراً من معاقلهم، وسلموا ما بقى لبني جابر، وأحاط محمد بن ناصر بحصن سمايل ومعه بعض البلوش، وكانت أخبار هذا الحصن تأتي الى سعيد عن طريق رجل من أهل علاية سمايل، ولهذا أمكنه مساعدتهم بالزاد والعتاد، لكن محمد بن ناصر بنى برجا شاهقاً في صخنان وأمر رجاله بسد الطريق بالحجارة فانقطعت أخبار حصن سمايل عن سعيد لهذا السبب، كذلك حدثت حرب بين المعاول وأهل نخل بهدف شغل مالك بن سيف عن عصبيته لمحمد بن ناصر، ثم خرج من في الحصن ليلاً الى سعيد وأخبروه بضعف قوة أهل الحصن وحرضوه على حرب محمد بن ناصر .

وكتب سعيد الى أعوانه جميعاً والى عزان بن قيس وطالبهم أن يأتوه الى بركاء فلما كثر القوم معه مضى بهم الى بدبد، وأخذ يبحث عن قوم محمد بن ناصر المعسكرين بسرور، وهجم عليهم وظفر بهم وأمر بهدم برجهم الموجود بوادي سرور، وأتى أهلها اليه مذعنين، وأخذ منهم ومن غيرهم العهد على ترك عصبيتهم لمحمد بن ناصر، ثم رجع سعيد الى مسقط ورجع عزان بن قيس الى صحار .

بلغ محمد بن ناصر ذلك كله، فشدد الحصار على حصن سمايل، وكتب الى أعوانه بسرعة الوصول اليه، وخرج على بن طالب من الحصن ليلاً الى محمد بن ناصر وطلب منه السماح له بالوصول الى سعيد ومخاطبته في العمل على تخليص الحصن لمحمد بن ناصر ، فوافق، ولما أتى سعيداً أخبره عن القوم الذين بالحصن وعن كثرة المرض والموت فيهم وعن نفاذ زادهم وطلب منه تعجيل الوثبة عليهم، فلما سمع كلامه، جمع كل من

استطاع من البلوش والزدجال من أقليم مكران وغيرهم. . ثم حدثت موقعة شديدة بين هؤلاء وأولئك، و اضطر سعيد للرجوع الى مسقط ومن هناك أرسل رسلاً للصلح بينه وبين محمد بن ناصر بكل ما يريد من الدراهم دون حصن سمايل وبدبد، وتعرضت الرسل لهجوم في الطريق وأخذ منهم اثنان أسرى الى محمد بن ناصر الذي صمم على عدم فكهما إلا بتخليص الحصنين المذكورين، وفشلت كل محاولات تخليصهما، ولما طال الحصار على أهل حصن سمايل، سلموه لمحمد بن ناصر، واشتد غضب سعيد على أمير عسكر الحصن وعلى محمد بن ناصر وعلى معاونه مالك بن سيف، وأرسل أخاه سالم بن سلطان الى شيراز يطلب من شاه العجم إعانته على حرب من خالفه من أهل عمان .

وعلى كل حال فقد ذهب سالم الى شاه العجم فأكرمه للغاية، وكان مع سالم من القضاة العمانية ناصر بن سليمان العدوى، وقد تكررت زيارات الوزراء والقضاة لهما، وتكرر اعتذار الشاه عن عدم سرعة استقبالهما بسبب مشاغله، والواقع أن أحد القضاة الشيعة الكارهين للخوارج كان وراء هذا التأخير . ثم مضى ناصر فحضر مجلس قضاء قاض من أصل شامي اسمه الميرزا ، وحدث نقاش بينهما حول قضايا الخصومً المعروضة، ثم سأل الميرزا القاضي ناصر عن مذهب الخوارج وتساءل : لماذا لم يتركوه مع أن اللعنة جائزة على الخوارج لأعمالهم القبيحة؟ فرد ناصر عليه بما يفيد أنهم ليسوا الخوارج، لكن الخوارج هم الغلاة في القديم والحديث، كل ذلك والشاه يتابع المناقشات عن طريق مرآة كبيرة مشرفة على القوم، ثم سأل ناصر الميرزا عن مسائل في مذهب الشيعة بعد أن نال أمان الشاه، قال: لماذا تحملون موتاكم الى كربلاء، فهل رحمة الله خاصة بكربلاء أم تعم كل الأرض؟ ثم تساءل: من أفضل عندكم: الحسن أم جده المصطفى صلى الله عليه وسلم . . . إلخ وبعد المناقشة أرسل الشاه للميرزا موبخاً قائلاً : لقد أخجلتنا ومزقت بجهلك مذهب الشيعة. . وجعل يسبه سباً، وعاد ناصر الى سالم .

فلما كان الغد بعث الشاه الى سالم وزيره الأعظم وطلب الشاه من سالم المثول بين يديه. . فمضى سالم الى شاه العجم بنفسه دون أن يكترث بكثرة عساكر الشاه وأسوده وسباعه المسلسلة أمام حصنه، وقد اعتذر اليه الشاه من طول البقاء دون إذن، ثم سأله عما يريد منه، فشرح له سالم الوضع في بلاده وكيف أن بها من مال الى الوهابية، وأنا نستنصر بكم كما تعودنا في القديم، فوعده الشاه خيراً، وفي الغد أتته الفرسان، فاختار ثلاثة آلاف وأركبهم سالم على سفنه من بندر العباس، فلما وصلوا الى بركاء ضربوا خيامهم فيها شرقي الحصن وغربه .

لما علم محمد بن ناصر بوصول العجم الى بركاء مضى من سمايل الى أزكي ثم ارتفع منها الى العبريين وبني شكيل يريد أن يحارب بهم العجم . واتفق أولاد سلطان وبنت الإمام على حرب نخل قبل حرب سمايل، ومضوا اليها بجموعهم وقطعوا نخلها وضربوها بالمدافع، ويئس مالك بن سيف من النصر فرضى بالصلح وترك الحصن للسيد سالم، كان سعيد يومئذ ببركاء وقد أتاه عزان بن قيس إعانة له، ثم مضى سالم وعزان الى سمايل وتركا سعيداً بنخل، وقد أمكنهما تخليص حصن سمايل بدون حرب.

عرف محمد بن ناصر بأخذ حصن نخل وسمايل فمضى الى مطلق المطيري ولقيه في الطريق وطلب منه العودة لمناصرته وإلاّ شكاه الى سعود وشهد عليه بالبخل وخذلان المسلمين والهرب أمام جيش العجم بغير قتال، وقال قضاة مطلق نفسه نفس الشيء له، فنفى مطلق عن نفسه الجبن وطلب مالاً دفع له.

رجع مطلق مع محمد بن ناصر وحشد جموعاً كثيرة، ومضى بهم يريد أزكي ، وفعل سالم نفس الشيء والتقى الجمعان دون «سدي» وظفر محمد وقتل من العجم والعرب الكثيرين، وتبدد أصحاب سالم في البلدان، ثم توجه مطلق ومحمد ناحية سمايل، ومكث من بقي من العجم في بركاء

ومكث محمد بن ناصر ومالك بن سيف في أزكي، وأتى تركي وفيصل ابنا عبد العزيز الى البريمي من غير إذن أبيهما، ومعهما قوم من الإحساء والقصيم، وقد فوض مطلق الأمر اليهما، فجمعوا بعض الأعوان، وهجموا على بعض المناطق وتعرضوا لقتل بعض أعوانهم، ثم مضى الجميع بما فيهم محمد بن ناصر الى حبرا ومنها الى بركاء فأغاروا على بعض محلاتها فخرج اليهم سالم بن سلطان واشتدت الحرب أياماً وقتل في هذا مالك بن سيف وغيره .

ثم مضى مطلق ومحمد بن ناصر وولدا سعود الى مسقط، وقتلوا ونهبوا مطرح وأربق وأحرقوا سور اللوتيا ومكثوا بالسد حتى هدموه وخربوا حيل الغاف ومضوا الى صيا فهدموا ونهبوا وقتلوا، ثم مروا الى صور عبر بعض الجبال فصالحهم أهلها وأخذوا بعض المال وارتفعوا الى جعلان .

وبعد بعض العمليات والمعارك وصل محمد بن ناصر ومطلق الى أزكي، ومنها مضى مطلق ومن معه الى البريمي، ثم إن سلطان بن صقر القاسمي جعل يكاتب السيد سعيد بالصلح سراً، فأجابه ، علم بذلك عمه حسن بن رحمة فكتب الى سلطان بالوصول اليه، ثم قيده وأطلقه وعينه مساعداً لمن يبعثهم على غزوات الشام والعراق .

كثر فساد حسن بن رحمة في البحر وقتل رعايا لسعيد وللإنجليز واستولى على سفن من عمان وأرض الهند، وهنا يبدأ ظهور الإنجليز على مسرح الأحداث فقد جهزوا لحرب حسن عدة سفن وشحنوها بالرجال والزاد وانضم اليهم السيد سعيد بسفنه، ومضى الجميع الى جلفار وأحاطوا بها وأخذوا يضربون قلعتها من البر والبحر حتى تم هدمها وهجموا على البلد وخربوا بيوته ونهبوا سفنه وأمواله ودمروه تدميراً .

واستولى رجل اسمه محمد بن أحمد الطنيجى على حصن شناص وذبح أهلها الطائعين فضلاً عن العاصين، فطلب سعيد عون الإنجليز

عليه، فأتوه وأحاط الجميع بشناص وأخذوا يضربونها بالمدافع، حتى اضطر محمد بن أحمد أن يذهب الى البريمي يستنجد بمطلق، وعاد ومعه كثير من الوهابية، ولكنه مات من لسعة حية قبل أن يصل الى الحصن، وتمكن الإنجليز من هدم جانب من الحصن وجرت معركة قتل فيها كل من كان بداخله، ثم وصل مطلق الى شناص بقوم كثيرين ووقع قتال انتصر فيه مطلق، ثم رجع السيد سالم الى المصنعة وبقي عزان بصحار، وعاد مطلق بعد تلك الواقعة الى البريمي .

أما سلطان بن صقر فقد ترك سعود بن عبد العزيز، وظل ينتقل من بلد الى بلد حتى وصل الى مسقط وعاهد سعيد على كف المظالم، وكتب سعيد الى الإنجليز بصلاح حال سلطان، فأمدوه بالمال وطلب منه تعمير جلفار بعد خرابها.

علم مطلق بهذا الصلح وبخروج سلطان عن طاعة الوهابية ، فحشد أقواماً كثيرة وكتب لأعوانه أن يأتوه في صحار، وأدرك عزان بن قيس ألاّ قبل له بحرب مطلق فصالحه تقية، وصالحه أيضاً عمه محمد بن الإمام، وسار مطلق بقومه الى المصنعة وعسكر بها ولقيه بعض قادتها تقية، وعلم سعيد بهذا كله فمضى الى المصنعة من غير استئذان ولم يشعر مطلق إلا وهو معه في خيمته، وبعد محادثات مطولة طلب منه سعيد بن سلطان أن يقبل هدية ستأتيه منه وأن يقبل رفع الضر عنه وعن رعية عميه محمد وسعيد وابن عمه عزان، بعد ذلك رجع مطلق الى البريمي ومنها الى الرياض ، وولى سعود مكانه ابن غردقة الذي هجم عليه بنو إياس وقتلوه في الطريق، عندئذ طلب سعود من مطلق أن يعود الى عمان، إذ ليس لها غيره كفئًا، لكنه اضطر أن يعود مرة أخرى الى البريمي بسبب رفض بعض القبائل الإذعان له .

بدأ «مطلق» من جديد يجمع الأعوان، ثم مضى نحو شرقية عمان، ولما وصل الى مواطن الحجريين فرق قومه للغارات على سائر بلادهم،

الشيء الذي دفعهم الى التعاهد بالله على قتله، ووالوا الهجوم على خيمته، أخبر شاهد عيان المؤلف قائلاً عن هؤلاء الحجريين: «أتونا يتدافعون بالأكف ويعربدون عربدة السكارى. . . » فلبس مطلق درعه واستوى على ظهر حصانه ومثله سائر فرسانه، ثم وقعت رصاصة في صدر مطلق، فخر على الأرض وولى أصحابه مدبرين، ونهب الحجريون ما في خيمته، وأسرع الوهابية السير بعد الهزيمة حتى أصبحوا في كبد الغبي، وعلم سعود بما جرى، فولى ابن مزروع مكان مطلق .

وصل ابن مزروع الى البريمي وجمع أقواماً من أعرابها ، أما السيد سعيد فقد مضى الى الشرقية وجمع آل وهيبة والحجريين وقبائل اليمن كلها وسار الى نزوى، ثم مضى الى بهلا بعدما علم بتوجه ابن مزروع اليها ، وهناك حدثت بعض المناوشات، وأثناء ذلك وصل رسول يخبر سعيد بوفاة عزان بن قيس، فترك حرب ابن مزروع وتوجه الى صحار كما علمت السيدة بنت الإمام بخبر وفاة عزان فتوجهت الى نفس المكان، ووصل الجميع ولم يشعر أحد أن السيد سعيد بصحار وأنه استولى على حصنها ، سلمه له سالم بن سعيد، فترك عليه والياً وعاد الى مسقط .

خلص أيضاً حصن نخل لسعيد بن سلطان، فولى عليه خلفان بن سيف بن سعيد المعولى فأساء السيرة في الرعية، لذلك أخذوا يكاتبون حمير ابن سليمان اليعربي بسبب العصبية وهو يماطلهم، ثم أخذته الحمية فوفد عليهم واشتدت الحرب بين أهل نخل والمعاول .

وكان السديريون يومئذ في حجرة القرين من قبل خلفان بن سيف، فأتاه من أخبره بانعدام الزاد والعدة، فبعث معه خلفان بن محمد ومعه من المعاول رجالاً عديدين يحملون فوق ما أرادوه، ولما رجع خلفان بن محمد يريد الحصن، هجم عليه عبيد حمير بن محمد، فقتلوا خلفان، وأتى محمد ابن ناصر الجبري الى نخل مع ألف من أهل عمان، عصبية لحمير وأصحاب نخل ، وأتت حمير برجال عدة، فلما علم سعيد أن شوكة حمير

قد اشتدت، وعجز رجال المعاول عن إخراجه من نخل، أرسل الى محمد بن ناصر ليناصحه عن حرب «نخل»، وأن يتخلى عن عصبته لحمير وأهل نخل وله ما يريده من المعاقل والدراهم، فمال محمد الى قوله ومضى الى عمان ، وبقي حمير متماسكاً في قليل من جنده .

ثم أتى سعيد بقومه الى نخل وهجم على بعض أبراجها، فانتقل حمير الى الحمام، فأمر سعيد بالهجوم عليه، وكانت معركة انكشف فيها سعيد وأرسل الى حمير بالأمان مع السكن في البلد، لكن لما قدم اليه، أمر سعيد بتقييده ثم حمله الى بركاء ثم الى مسقط، ثم سمح له بسكون الطو، لا في نخل ثم رجع الى نخل، وحشد سعيد أعراب الشرقية وأعراب الساحل وغيرهم، ولما بلغ الى نخل انضم اليه المعاول، فأمرهم بارتقاء جبل الشيبة وضرْب أصحاب حمير بالبنادق منه، كما أمر آخرين بارتقاء الجبل المشرف على فوارة الحمام وضرب حمير منه، وتواتر ضرب الرصاص في الجبلين بين أصحاب حمير وأصحاب سعيد، وانهزم المعاول والحواسنة ورجع السيد الى الجميمي وأتاه حمير، فهبط معه، وبقى سليمان بن حمير في الحمام، ثم هرب حمير الى الطو بعد ليلتين .

سبب هربه أن على بن طالب والي نزوى أيقظه ليخبره أن عليه ديناً لأخيه مهنا بن محمد، وأنه أتاه لوفاء ما عليه، ولما سأله وما ذلك الدين؟ قال له قصة مؤداها أن سلامته من القتل كانت على يد أخيه مهنا، وأن السيد سعيد «قد عزم على قتلك» ، ولهذا خرج حمير من ليلته الى الطو، فردوه في اليوم التالي بأمان من سعيد، ولما جاء ذكر له ما رواه على ابن طالب، فأمر سعيد بتقييد على ثم أطلقه، وتلك رواية «على» نفسه للمؤلف بعد هلاك حمير.

وقد مضى سعيد الى مسقط وحمير معه، ثم أذن له فمضى الى الطو، وعاتب المعاول سعيد بسبب ترخيصه لحمير وذكّروه بمن قتل منهم، فقال لهم : إنه سيكتب الى نبهان بن سيف أن يأتيه به وأنه سيفعل ما يريده،

وفعلاً كتب السيد الى نبهان بن سيف فأتى اليه، وأكد ما قالته المعاول فاشتد غضب السيد على حمير، وكتب يطلب وصوله اليه، فأتى ومعه بعض خاصته، فلما دخلوا الحصن ألقي القبض عليهم، وكتب سعيد بتقييد كل اليعاربة في نخل وإرسالهم اليه في مسقط مقيدين، فماتوا جميعاً في القيد إلا سيف بن مالك .

ثم إن الشيخ محمد بن خلف الشيعي أشار على السيد سعيد بحرب البحرين، فكان النصر لأهلها بعدما قتلوا بعض الأكابر، ولما رجع السيد الى مسقط أمر بني مهلل أن يبنوا قلعة الجناة، فلما تموا بنيانها هجم عليهم سليمان بن حمير اليعربي وأهل الطو واستولوا عليها، واحتدمت الحرب بين المعاول وسليمان واشتدت شوكة سليمان بن حمير، فحشد سعيد أهل الشرقية وغيرهم لمحاربته واجتمع معه خلق كثير مضى بهم الى نخل، ثم أمر سليمان بعض أعوانه أن يقبضوا على رؤوس بعض الجبال فخانوه وهجم السيد سعيد عليه فانهزم ومضى في اتجاه «بهلا» لائذاً بمحمد بن سليمان، وبعث سعيد بعض المشايخ الى سليمان بن حمير وعرض عليه أن يأتيه بأمان الى مسقط فأتى سليمان اليه وأكرمه .

مضى حميد بن ناصر الغافرى الى السديرة، لأنه علم أن آل وهيبة يتهكمون به، وأن يمنية الشرقية يشايعونهم على ذلك، فلما وصل هناك صالحه آل وهيبة وأهل الشرقية، وكان سعيد قد بعث لهم - قبل وصول حميد اليهم - هلال بن حمد بن الإمام سعيد فلما علم في الطريق أنهم صالحوه ، عاد الى بركاء وأخبر سعيداً، ثم رجع حميد الى العينين وسرح قومه ومات بعد أيام.

وبلغ سعيد أن بتال المطيري أتى الى البريمي برجال كثيرة، فأمر محمد ابن ناصر بحربه، فحاصره ثم صالح بتال سعيداً على هدم حصن البريمي.

وبلغ السيد أن محمد بن على أدخل كثيراً من أهل جعلان وغيرهم في مذهبه وأطاعه أهل الشرقية وأن أصحابه أهل الأشخرة نهبوا مالاً كثيراً من

مركـب للإنجليز منكسر بها، فكتب لـلإنجليز أن يعينوه على حـرب محمد وقومه فـأتوه مسرعين وعسكروا بصور، ثم ارتفـع بهم الى جعلان وحشد الكثيرين ثـم هجم الإنجليـز على بنى تمام مـع جند السيـد، فهجم عليهـم محمد بـن على دون محلة السنـدة، وهزم سعيـد والإنجليز، ونـالت سعيـد رصاصة في يده ومـا ثبت معه إلا قليل، ثم رجع سعيـد الى فلج المشايخ، وكانت هذه الواقعة في المحرم سنة ١٢٠٠هـ .

ولما جن الليـل طلب الإنجليـز من سعيد ألا يـأتيهم أحـد من قـومه ليلاً، ومن أتـى فلا أمان له، وأثنـاء الليل توالى ضرب البنادق مـن بلدان بني حسـن يريدون نهب الإنجليز، وكثـر ضرب بنادق الإنجليز خوفـاً من الهجوم وغدر العـرب، وكثر الهرب من قوم سعيد حتى ابنـه، هرب بدون إذنه، ولما رأى سعيد ذلك أمر بالمسير الى مسقط ومعه الإنجليز .

ولما وصل الى مسقط ، أرسل عسكر الإنجليـز الى مراكبهم، ورجع هؤلاء الى «بمباي» لإخبار قائدهـم بما جرى، فجهز في الحال مراكب كثيرة وأكثر من عدد الحرب وآلاتها، وكتب الى سعيد أن يلاقيه في صور، حيث أنزلوا معظم ما معهم وأخذوا جانب الحذر، ونزل سعيد قريباً منهم، وبعد يومين هجـم عليهم محمد بن على ليـلاً، ووصل أصحابه الى أطنـاب خيام الإنجليز وقتلوا بعضهم ورجعوا من ليلتهـم، وفي هذه الظروف مات سالم ابن سلطان، وأذن سعيد لعمه طالب أن يأخذ حصن الرستاق من أحمد بن سعيد بن الإمام .

وعلى كل حال فقد توجه سعيد مع الإنجليز الى جعلان، وطلبوا من سعيد أن يمضوا وحدهم الى بني أبي علي ليس معهم إلا دليل طريق فقط، فأجابهم، ولما وصلوا قريباً مـن بلد بني أبي على، أمروا أصحاب الخيل أن يهجموا على جـانبها الغـربي، ومضى السيد على طـريقها الشرقـي، فصف قومه وقدم عليها الهنود وأمرهـم بالهجوم على البلد، وشهدهم بنو أبي على فهجمـوا عليهم، فـانكسر الهنود، فلما اقتربوا مـن الصـف الثاني انطلقـت

المدافع فأصابت الهنود وبني أبي على معاً وأهلكهم الرصاص جميعاً ، وأغار الفرسان على الجانب الغربي ودخلوا البلد منه ومن جانبها الشرقي وهدموا قلعتها وأحرقوا بيوتها وأسروا رجالها وتركوها قاعاً صفصفاً ورجعوا بالسبايا الى بلد بني حسن، ثم رجعوا الى صور ومنها الى بمباي وأخذوا معهم محمد بن على معززاً، ورجع سعيد الى مسقط حيث حبس ثمانين أسيراً حتى ماتوا جوعاً وعطشاً .

وفي نفس هذه السنة ١٢٣٦هـ عم وباء الطاعون، ليس عمان فقط، بل وفارس والكويت والبحرين والهند والسند ومكران وبلاد الإنجليز والفرنسيين وكان سبباً في موت خلق لايحصيهم إلا الله جل وعلا .

ثم سمح الإنجليز لمحمد بن على بالرجوع الى وطنه، وأعطوه ومن معه دراهم كثيرة ليعمر بلده وطلبوا من السيد سعيد أن يسمح له بالعودة الى بلده لتعميرها، فوافق على ذلك ولما عاد وقومه الى جعلان قاموا بتعميرها فأصبحت كما كانت.

وقد أتى أهل نخل الى السيد سعيد يشكون من سوء سيرة واليهم، فعزله وولى عليهم غيره .

وقد تولى سعد بن مطلق المطيري على البريمي من قبل أولاد سعود فرحب به أهلها، وخضع له أهل الظاهرة وحشد أقواماً مضى بهم الى بهلا، ثم أغار على الحجريين وقتل ونهب ، ورجع الى البريمي ومنها الى أزكي ثم عاد الى البريمي وبني حصنها، ثم كاتب السيد سعيد معتذراً عن هجومه على الحجريين، بسبب قتلهم لأبيه فقبل عذره .

جمع السيد سعيد أقواماً كثيرة مضى بهم الى البحرين، ولماجرى الطاعون وهو في الطريق أشير عليه بالعودة فرفض وقال: هيهات أن نرجع عن حرب البحرين، ثم مضى فعسكر بها وطلب عدم مهاجمة بني عتبة، لكن بعض قادته مضى وهاجمهم وتمكن من هزيمتهم وقد ظن أصحاب سعيد أن صاحبهم قد هزم، فأعطى هذا الفرصة لبني عتبة، فرجعوا

وأخذوا يقتلون فلم يفلت أحد من جند سعيد، ورجع هو الى مسقط، ثم جمع أقواماً مضى بهم الى ممباسة وهجم عليها في قوارب وسفن، ثم هبط الى البر وهاجمها فانهزم جنده ورجع الى زنجبار ومنها الى مسقط ثم الى ممباسة ، فصالحه بنو مزروع على الأمان وتخليص الحصن لهم وإقامتهم في البلد، فأجابهم وقصد هو الى زنجبار.

رجع السيد الى مسقط، فنقض بنو مزروع الصلح وحاصروا حصن ممباسة حصاراً شديداً حتى سلم لهم، فلما علم السيد بذلك حشد أقواماً وحاصر ممباسة بشدة، وهجم على قلعتهم فأخذها عنوة، فدفعهم ذلك الى تسليم الحصن، وأخذ منهم سعيد رجالاً أسرى ومضى الى زنجبار ، ثم رجع الى عمان وبعث أسارى بني مزروع الى هرموز (هرمز) فحبسوا في قلعتها طويلاً حتى مات أكثرهم .

وولى سعيد على صحار ومسقط ابن أخيه سالم بن سلطان ، وكثرت الوشاية للإيقاع بينه وبين هلال بن محمد بن الإمام حتى أمر بالقبض عليه وقيده في محبس الحصن الغربي، ثم مضى سعيد الى زنجبار بعد تعيين النواب على عمان كلها وعلى صحار.

وكان حمود بن عزان يظهر لين الجانب للسيد سعيد ، بينما يحاول أخذ حصن صحار، فقد أهمل والي صحار الرعية والمعاقل كل الإهمال، وكان أهل صحار يحبون حمود ويطلبون منه أن يثبت عليها، وقد صنعوا له سلالم ليتسور بها، وأكدوا له أن الحرس في غاية الإهمال، ولما تعددت رسائلهم وتيقن من الخبر، تسور الحصن مستخدماً السلالم التي صنعها رجاله، فلم ير إلا بعض النائمين وقام بإخراجهم، وفي الصباح أتاه أهل صحار طائعين فمضى الى لوى ثم الى شناص ثم الى الخابورة، فتسلم حصونها جميعاً .

وقد اتفق رأي محمد بن ناصر وطالب بن الإمام أن يسيرا الى مسقط وأن يفعلا ما تأمرهما به ابنة الإمام، فلما وصلا قالت لهما : لقد اشتدت

شوكة حمود ونحن نرقب شره في كل وقت، ومسقط هي كنز عمان، فينبغي حمايتها برجال لايميلون الى خيانة، أما محمد فقد طلب منهما الاختيار بين اليمانية أو النزارية، لأنهما ما اجتمعا في بلد إلا كثر فيه الفساد، وسلامة عمان في عدم اجتماعهما ولما خيراه بينهما قال: النزارية يميلون حيث أميل، فطلبا منه أن يأتي بهم بسرعة. فذهب الى سمايل وأتى بألف وخمسمائة .

ولما اجتمع مع حمود من صحار وأعمالها خلق كثير ، وكاتبته القبائل عزم على حرب مسقط فلما بلغه أن محمد بن ناصر أقام بمسقط، اكتفى بصحار.

علم بنو نعيم أن محمد بن ناصر متعصب للسيد محمد بن سالم وبنت الإمام، فأغاروا على الشقيري واستولوا على برجها، وشغلوا حموداً بغاراتهم على صحار.

بلغ خبر استيلاء حمود على حصون وقلاع صحار السيد سعيد، فعجل بالمضى الى مسقط، وبعث بهلال بن محمد بن الإمام الى السويق بعدما أطلقه من سجنه وأعطى لمحمد بن ناصر حصن سمايل. ثم مضى الى صحار، وأرسل رسولاً لحمود، وتم الصلح بينهما بشروط .

ثم مضى السيد الى زنجبار، ولما استقر به المقام بها، توجه هلال ابن سعيد النائب على مسقط، ومحمد بن سالم، زائرين لسعود بن على ابن سيف، النائب على بركاء، فلما دخلا الحصن قيدهما وقتل أحد أصحابهما، لمشاركته في قتل عمه بدر بن سيف، ولما بلغ ذلك بنت الإمام خشيت هجومه على مسقط، فكتبت لمحمد بن ناصر الجبري بسرعة المجيء اليها، فأتى واستولى على كل معاقلها تقريباً.

وكانت قد حدثت حرب بين أهل نخل وناصر بن خلف الزاملي والي الحصن قبل أن يقبض سعود على هلال ومحمد، وهُزمت المعاول وبقى ناصر متحصناً في الحصن بينما مضى سعود الى المصنعة ومعه سالم مقيداً،

وكان بالحصن يومئذ حمود وسرحان ابنا سالم، فشددا الحرب على سعود الذي رجع الى بركاء دون أن يحقق ما أراد، وقد أرسلت له ابنة الإمام ففك الأسيرين بعد أن قبض بعض الدراهم، ومضى الشيخ محمد الى سمايل ثم الى نخل فأصلح بينهم وبين ناصر بن خلف، واصطلح سعود والسيد على أن يرجع حصن بركاء الى السيد، ويأخذ حصن الرستاق عوضاً عنه، كذلك أعطى السيد سعيد لمحمد بن ناصر حصن بدبد ورجع الى زنجبار، ووصل حماد الى سيوي فصالحه أهلها ومضى الى زنجبار، فأمره السيد بالرجوع الى عمان فرجع الى مسقط ثم الى نخل وأحسن السيرة في الرعية، ونقض أهل سيوي الصلح، فذهب اليهم حماد وقاتلوه فرجع الى زنجبار، وعلم سعود ذلك فسرّ به.

وذات ليلة سنة ١٢٤٨هـ مضى سعود للصيد، ولما رجع دخل مسجد المنصور بالرستاق للقيلولة، فهجم عليه سلطان بن أحمد بن سعيد الإمام وقتله ورجع أصحابه الى الرستاق ، علم حمود بن عزان بخبر قتل سلطان لسعود فمضى الى الرستاق برجال كثيرين وتم الاستيلاء على الحصن بدون حرب، فلما بلغ السيد ذلك رجع الى مسقط وأمر بحرب الرستاق، فانهزم أصحابه، وهجم حماد بن أحمد على حمود فانكشف حماد، ودخل حمود الحصن وأسر حماد وعفا عنه وقتل بعض أصحابه وهدم حصن بني مزروع وأخذ مدافعه .

كان السيد يومئذ بمسقط، فغضب على حمود وكتب الى أعوانه أن يأتوه في بلدة المصنعة، ومضى هو اليها بحراً، فأتوه فنزل الى البر ودفع لحلفائه بعض الدراهم، ولما علم باقتراب حمود منه، أمر بالهجوم عليه، فرفض أعوانه وقالوا إنما جئنا للصلح بينك وبين ابن عمك حمود، فغضب وطلب من محمد بن ناصر أن يمضي الى الظاهرة ثم الى توام وأن يجمع الأعوان ويهبط بهم الى صحار حيث يلتقي الجميع هناك ويتم الهجوم على حمود الى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً ، فمضى محمد بن ناصر وحشد في الطريق خلقاً كثيراً من العينين والبريمي ومن النزارية وغيرهم، ولما هبطوا

الى صحار خشي السيد استيلاءهم عليها، فطلب الصلح من حمود، فأجابه على ألا يعتدي أحدهما على صاحبه، ثم أكرم السيد شيوخ النزارية وأعطاهم دراهم وخلع فوق الإحصاء ثم صرح لهم بالرجوع .

ووقعت منافرة بين محمد بن ناصر وسرحان بن سليمان الجابري، بسبب محالفة سرحان لبني رواحة والحرث، وقد مال الشيخ راشد ابن سعيد وبني الحضرمي لمحمد بن ناصر، وحدثت حرب وقتال شديد وانتهى الأمر بالصلح وقد طلب السيد سعيد من محمد بن ناصر أن يصطلح مع بني رواحة فلم يرد مخالفته.

أراد السيد سعيد أن يمضي الى زنجبار، لكن جاء مركب إنجليزى الى مسقط وأخبر السيد من في المركب بصنيع حمود كله، فذهب ذلك المركب الى صحار وأتى بحمود وصالح بينهما، ووقّع حمود ألاّ يحرك ساكناً على السيد وأولاده، وأن يرفع يده عن حرب هلال بن محمد ابن الإمام ، ثم بعدها مضى السيد الى زنجبار، وأرسل وهو في الطريق اليها بعض أعوانه لحرب سيوي، فكانت الدائرة على أتباع السنيد سعيد.

ولما علم الشيخ محمد بن ناصر بدسائس حمود بن عزان، عزم على حرب الرستاق ومضى الى أكابر النزارية ووقت لهم زمناً معيناً للحرب، لكنه مات قبل أن يأتي الوقت .

عزم حمود على نقض عهده مع السيد سعيد، فمضى الى بمباى يريد موافقة الإنجليز على ذلك لكنهم رفضوا إلا إذا أتاهم بتوقيع سعيد وموافقته على نقض العهد، ويئس حمود فرجع الى صحار وأظهر الورع والزهد، لكنه عاد وأخرج الشيخ سعيد والشيخ حمد السعدي من الحصن وسلمه لولده سيف، وتسلم الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي حصن الرستاق ثم اتفق رأي أكابر آل سعد على تنصيب إمام يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، واجتمع بالرستاق خلق كثير أرادوا مبايعة حمود، لكنه أبى ورجع الى صحار ومنها الى القصير، ولما أطاعت رعية صحار سيف ابن

حمود واشتدت شوكته، استنكف عن طاعة أبيه وأبى أن يدفع له شيئاً من المحصول، فسلط عليه أبوه بعض خدمه، فقتلوه في فراشه وأبى قبول العزاء فيه، واستولى على حصن صحار وكل الحصون التي كانت بيده .

علم السيد سعيد بكل تقلبات حمود وبقتله ولده، فكتب للإنجليز بكل شيء، فوافقوه على أن يفعل ما يشاء به، لنقضه الصلح فسلط السيد سعيد عليه ولده ثويني حتى قبض عليه وأتى به الى مسقط وقيد حتى مات، واستولى أخوه قيس بن عزان على كافة حصونه، وذبح قيس قحطان ابن سيف بن على ذبح الخراف متهماً إياه بأن له يداً فيما جرى لأبيه، فلما بلغ ثويني ذلك سخط على قيس، وجمع كل منهما أقواماً لحرب الآخر ثم اصطلحا ورجع قيس الى صحار وثويني الى مسقط ثم كاتب قيس سلطان ابن صقر، وسأله معونته على حرب ثويني فوافق وهبط بأقوامه الكثيرة الى شناص فحاصرها، ومال بعض الناس لهذا وآخرون لذاك وتوقف الوهابية عن الميل لأحدهما، ولما علم السيد سعيد بصنيع قيس وميل سلطان بن صقر اليه ، أدرك أن ذلك لإحن قديمة بينه وبين سلطان بن صقر.

أخيراً وصل السيد سعيد الى مسقط، وكتب الى قبائل عمان بالوصول اليه وأكرمهم جميعاً، واختار النزارية للمسير الى حرب صحار، وكتب قبل مسيره لسلطان يطلب منه ترك تعصبه لقيس ، فلما وصله الكتاب مضى الى صحار، فرأى أن قيساً ليس في حالة حرب فرجع الى شناص ، أما السيد سعيد فقد مضى بجنده الكثير الى الخابورة عن طريق البحر، ومضى بعض قومه براً ، فاستولى على حصن الخابورة ثم رجع الى مسقط، ومنها بحراً الى صحار، فلقيه سلطان بن صقر وعاهده على ترك عصبيته لقيس ثم رجع الى مسقط.

وكانت هناك مكاتبات بين ثويني بن سعيد ومكتوم الياسي - قبل وفدة الأخير على السيد بمسقط ـ ، فأمره السيد بحرب شناص وتمكن من فتح حصنها، ووفد اليه محمد بن سالم وثويني وشكراه على فتحه حصن شناص، ثم عقد صلح بين قيس والسيد على تسليم حصن صحار للسيد

على أن يسمح له بحصن الرستاق ولايحرك عليه ساكناً، وتم تسليم حصن صحار للسيد ثويني.

ولما استقر مقام السيد سعيد بزنجبار هجم العجم على ميناو وبندر العباس وأخذوهما ، ووفد السديري من الإحساء من قبل أولاد سعود على البريمي، فواجهه أعراب الشمال وحضر الظاهرة، وبعث ثويني اليه بعض قادته، فطلب السديري مالاً كثيراً ثم اتفقوا على العودة للعهد الأول بين السيد وأولاد سعود، ثم مضى السديرى الى بهلا حيث تم الاتفاق بينهم وبين سيف بن سليمان اليعربي على المسالمة ودفع بعض المال ثم مضى السديرى الى نزوى ومنها الى البريمي .

علم السيد سعيد بما كان من العجم وبما كان من السديري وبوصوله الى نزوى، فرجع الى مسقط حيث تم الصلح بينهما .

وسخط السيد على الشيخ سيف بن نبهان بن سعيد المعولي ، لمقدمات صدرت منه وكثرت الوشاة بينهما، فلما وصل اليه لم يهتم به ، فتوفى عنده بمسقط بعد أيام قليلة ، ولما تمكنت العجم من معاقل السيد سعيد بفارس ، وفعلوا بها الأفاعيل بعد وفاة الشيخ سيف بن نبهان، جمع كثيراً من الأعوان ، وأرسلهم مع ولده ثوينى الى بندر العباس، فأخذها من العجم قسراً كما أخذ ميناو وسميل وغيرهما، وبعد مدة يسيرة هجم العجم على بندر العباس وميناو، فقاتلهم ثوينى قتالاً شديداً وقُتل منهم الكثيرون لكنهم انتصروا وأسروا كثيرين مضوا بهم الى شيراز ومثلوا بقتلاهم، فصعد ثويني وأصحابه على سفنهم وحاصروا العجم حتى ضعفت تجارتهم وانقطعت مواردهم من الهند، فجنحوا لهذا الى السلم، وأتى أكابرهم الى مسقط وتم الصلح على أن يردوا للسيد سعيد ما أخذوه من معاقله وعلى أن يأخذوا المال الذي كان يدفعه لهم الشيخ سيف بن نبهان أيام حياته .

وهدأت الأحوال في عمان، وأصبحت بلاد فارس التي تخضع للسيد سعيد في أمان، بعد ذلك أسرع السيد سعيد بالرجوع الى زنجبار حيث

وافاه الأجل المحتوم في ناحية سيشل سنة ١٢٧٣هـ .

وقد رثاه جماعة مـن الأدباء ورثاه المؤلف بأربع قصـائد طوال، أثبتها في آخر كتابه الـذي ذكر أنه فرغ منه سنة ١٢٧٤هـ = ١٨٥٧م وطلب ممن وجد فيه نقصاً أن يسده، وأهداه لحمد بن سالم بن سلطان، وأنهاه بقصيدة مدحه فيها.

* * *

فهرست تفصيلي لموضوعات كتاب
الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين

محمد بن ناصر إمامًا ١٨ - ٢٢

رضاه بالمبايعة بعد أخذه المواثيق - قضاؤه على الخارجين والمعارضين حتى لم يبق له معارض إلا القليل - إظهاره العدل - توجهه الى صحار ومحاربته خلف بن مبارك حتى قتل - الرستاق تسلم لسيف وبعض علماء نزوى يبايعونه إمامًا - بلعرب بن حمير يغضب لذلك وتتجدد المشاكل - ابن حمير يدمر ويخرب - سيف يجمع أعوانه وينهزم عند أرض الجوف «الجو» - سيف بن سلطان يستنجد بملك العجم - أحمد بن سعيد يلتقي بسيف فيوليه على صحار ويحبه الناس مما كان سببًا في إيغار صدر سيف عليه حتى تعاديا ثم اصطلحا - جيوش شاه العجم تصل الى «فكّان» - سيف يستقبلهم ويأسف لكثرتهم - معركة مع بلعرب بن حمير عند السميني ينكشف فيها بلعرب - سيف يدخل «توام الجوف» مع العجم - العجم يهينون الناس ويبيعون الحرائر في «شيراز» ، ويعذبون أهل نزوى ويقتلون الآلاف - العجم ينتقلون الى مسقط ثم بركاء - سيف بن سلطان ينتقل الى الظاهرة ويلتقي ببلعرب - رد الإمامة الى سيف - عمان كلها تدين له والعجم يواجهون نكسات - العلماء يجتمعون ويقررون عقد الإمامة لسلطان بن مرشد اليعربى ؛ لأن سيف هو الذي استقدم الأعاجم.

الإمام سلطان بن مرشد اليعربي ٢٢ - ٢٥

مبايعته - بعض الحصون تدين له - تعدد الأئمة والولاءات - موقعة بين سلطان بن مرشد وسيف بن سلطان وهزيمة الأخير ورجوعه الى مسقط - ابن مرشد يفتح مسقط وهروب سيف في مركب واتصاله بالأعاجم وتوجه الجميع نحو صحار وحصارها برًا وبحرًا - إرسال العجم قوات لغزو مسقط - العجم يهجمون على المطرح ويقتلون المسئول عنها في وقعة بربوة سيح الحرمل - العجم يتجمعون ويهاجمون مسقط من جديد - عجم صحار يحاصرونها - سيف بن سلطان يندم لأن العجم استولوا على مسقط ولم يقدموا له شيئًا - سلطان بن مرشد يتوجه الى صحار لمقاتلة العجم ويصاب ويتفرق جمعه - سيف يموت حسرة - أحمد بن سعيد يستمر في مناوشة العجم ويضطر الى مصالحتهم - توجه العجم الى بندر العباس

بعدها حمد الى مسقـط- آل وهيبة يحرضون سلطان على حمد - عمان تـواجه حالة جدب - موت حمد ورثاء الشعراء له .

سلطان بن الإمام أحمد ٣٥ - ٤٠

شجـاعته وإنصـافه - استيـلاؤه على حصـن بركـاء بحيلة - استيـلاؤه على مسقط - الصلح بين سلطان وبين أخيه سعيـد وتحرير حصن المطرح - بناء معاقـل بها - محمد بـن خلفان يحرض قيـس بن الإمـام على حرب سلطـان ويعـاهده على ذلـك سعيـد بن الإمـام - سلطان يـرتكـب أفعالاً منكـرة - سلطـان يغزو شهبـار مكران وهـرموز(هـرمـز) والبحريـن - تحالف قيـس وسلطان على حرب بني نعيم وأهل دبا - بناء حصن الفلج - ولاة سلطان على البلاد - حكام عمان يتلقون كتـابًا من عبد العزيز الوهابـى يدعوهم الى طاعته - منافرة بين سلطان وحميد بن ناصر الغافرى - توجه سلطان للحج وبدر بن سيف ينتهز الفرصة ويريد الاستيلاء على مسقط ثم يضطر للهرب الى الـدرعية - غـارة وهـابيـة مظفرة على أطـراف السـويـق - أكابـر عمان يـؤكدون لسلطـان استعـدادهم لمقـاومـة الوهـابيين - مكـاتبات بين قيـس وسلطان وعـودة الوهـابي الى البريمى هلعًا - سلطـان يصطلح مـع الجميع والبلاد تعـرف الرخاء في زمنه - سلطـان يتوجه الى البصرة - أهـل جلفار يدخلون معه معـركة بحرية يقتل خلالها - الأدباء والشعراء يـرثونه بقصائد من المطولات .

السيد سالم بن سلطان ٤٠ - ٤٢

ألفة بينه وبين سعيد بن سلطان - شـدة إحسانه وحرصه على أداء الفرائض واحتفاؤه بأهل العلم والأدب - حزمه في أمـور المملكة وتأديبه من يستحق التأديب - محبة النـاس له - حديث عن الوهابى وظلمـه من خلال لاجىء الى عمان - رباطة جـأش سالم أثناء مقاتلـة أهل جلفار في معارك بحـرية - مناقب السيـد سالم وموته ورثـاء الشعراء والأدباء له بنثـر وقصائد تجل عن الحصر - جملة من سجاياه واحتفاله بأصحابه .

* * *

فهرس الكتاب

فهرس الكتاب

هذه الموسوعة

تميز تراث الثقافة الإسلامية العربية في عُمان بنهم واضح الى معرفة تعلماً وتعليماً، وتمثل ذلك منذ العقود الأولى للإسلام في سعي أهل عُمان في شوق نحو منابع العلم البعيدة يرتوون منها، وإستقبال الناس في ظمأ «لحملة العلم» يتعلمون منهم ويدونون عنهم.

ثم انتشرت حركة التأليف بين العلماء العمانيين في مختلف فروع التصنيف كالفقه والتفسير والحديث والتاريخ وعلوم اللغة والفلك والطب، وتركوا في هذه المجالات جميعاً إسهامات قيمة في آلاف المخطوطات، طبعت عدة مئات منها بداية عهد النهضة في السبعينات، وتميز كثير منها بكبر الحجم وغزارة المعرفة.

وسعياً لتقريب مضامين هذه الكتب القيمة إلى القارىء المعاصر، يعكف فريق من صفوة المتخصصين في الجامعات العربية على إعادة قراءتها وتقديم خلاصة فحواها للقارىء المعاصر، بأسلوب يتلاءم وثقافة العصر الحديث ويحرص على نقل جوهر الفكر التراثي وصقله وجلائه ويغري بالعودة إليه.وهذا الجهد تنتظمه «الموسوعة الميسرة للتراث العماني» في عدة أجزاء من بينها هذا الكتاب.

○ ○ ○ ○ ○

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م

المطابع العالمية - روي - سلطنة عمان